روايات أحلام

سالي سبنسر

لو كنتُ أعلم!

www.elromancia.com

مرمورية

www.elromancia.com

لو كنت أعلم! - سالي سبنسر

هل كانت مارلين تعلم ما يخبئه لها القدر وهي تحضّر لزواجها القريب؟

أورثها قريب لا تعرفه منزلاً بعيداً في أعماق الريف يُسمى الصومعة، وعندما ذهبت لتراه وجدت نفسها تخوض صراعاً مريراً مع جان باتلي الذي يعتقد أن المنزل من حقه.

جان لن يوفر أية طريقة مهما كانت للحصول على المنزل، ومارلين لن تتخلى عنه مهما كان الثمن.

لكن أمجنونة هي لتتخلى عن كل شيء من أجل رغبة طفولية للاحتفاظ بمنزل قديم، أم أن للأمر علاقة بمشاعرها نحو جان باتلي؟

يجب عليها أن تراجع حساباتها قبل أن يفوت الأوان وتجد نفسها وحيدة وقد خسرت كل شيء: خطيبها، المنزل الذي ورثته، و.... قلبها!.

تصدر عن دار الفراشة

١ ـ ضياع في العاصفة

كان الثلج يتساقط منذ أن غادرت مارلين منزلها: طبقة سميكة بيضاء غطت زجاج السيارة وجعلت المساحات تتحرك بعجز.

كثافة طبقة الثلج كانت تتزايد حتى أصبح صعباً على المساحات إزاحتها، وأخذت تتراكم على الزجاج مانعة الرؤية.

وحاولت تهدئة احساسها بالذعر الذي سبّبه هذا الموقف في نفسها، وأخذت تعزّي نفسها بأنها لا يمكن أن تكون بعيدة كثيراً عن المكان الذي تقصده، فقد تجاوزت اللوحة المنصوبة على الطريق، التي تدل على البلدة القريبة، ولكن الظلام كان يهبط بسرعة، ومع أن الوقت كان لا يزال بعد الظهر، إلا أنها وجدت الأمر غير مشجع. ومالت إلى الاعتراف بأن مايكل كان على حق عندما اعتبرها حمقاء ولا تشعر بالمسؤولية لقيادتها كل المسافة إلى هذا المكان النائي في هذا الطقس الرديء.

وتطلّعت من خلال العاصفة، محاولة تمييز أي أثر للعمران في

البراري أمامها. لا بد ان يكون هناك من يسكن هنا، حتى لو كان راعياً او مزارعاً. وقفزت إلى ذهنها القصص التي قرأتها عن هذه الأماكن، والتي تصف حياة المزارعين في الاودية المعزولة بين التلال، وفي اعقاب هذه الافكار أتت أفكار أخرى عن السائقين الذين حُبسوا في سياراتهم او في البيوت المنفردة، ووجدوا بعد ايام موتى من الصقيع والجوع...

وتنفست نفساً عميقاً، ودفعت تصوراتها باتجاه أكثر تفاؤلاً، إذ لا يوجد أي سبب مطلقاً لأن تفترض أنها ستحتجز في عاصفة ثلجية، وطالما استمرت السيارة في التحرك فهي آمنة تماماً.

وصدمتها فكرة مما جعلها تبطىء سيرها، دون شعور منها، فماذا يمنع، عندما يحل الظلام من أن تخرج عن الطريق، وتسير نحو مستنقع أو تغرق في وحول متحركة، وعندما يغمر الثلج المكان فكيف ستقدر على معرفة طريقها الصحيح؟

بعد لحظة، بدأت إطارات السيارة بالانزلاق. وتلازم بطء سرعة السيارة مع ضغطها على دواسة السرعة في رغبة يائسة منها لبلوغ وجهتها بأسرع وقت ممكن، وبذلك حصل ما كانت تحاول اجتنابه حتى الآن، وأدركت أن الاستمرار في حث محرك السيارة، سيقود بكل بساطة إلى غرز الإطارات أكثر في الثلج والوحل.

وأحكمت أزرار معطفها الجلدي حول رقبتها، ووضعت القبعة الفرو على رأسها وفتحت الباب وخرجت من دفء وراحة السيارة إلى البرد القارص للعاصفة. وقطع الصقيع أنفاسها للحظة، ولكنها لم تضيع الوقت بمحاولة التطلع من حولها، في وقت تستحيل فيه الرؤية لأكثر من بضعة أمتار، وانحنت فوق الإطارات الخلفية، وكما توقعت، فالإطارات قد انغرزت في الثلج ولم تعد تلمس سطح الطريق المنزلقة.

ماذا عليها أن تفعل الآن؟ لم يكن لديها فكرة عن المكان الذي هي فيه، فلم تكن قد زارت تلك المنطقة من قبل. ناهيك عن بعد المنطقة ووجودها لوحدها دون رفيق.

وقررت أن من الأفضل لها أن تبقى جافة بينما تجيل النظر في وضعها البائس هذا، فغادرت إلى السيارة ونظرت إلى ساعتها، التي كانت تشير إلى حوالي الثالثة والنصف، مع أن الظلام قد حلّ. وتطلعت من حولها مرتجفة وهدفت بحقائبها في المقعد الخلفي. وبرزت لها فكرة، لو أنها أخرجت بعض الثياب منها ووضعتها أمام الإطارات الخلفية، فقد تنجح في تحريك السيارة فوقها، ثم تحاول الاستمرار في تسيير السيارة حتى تصل إلى مكان تستطع اللجوء اليه.

واستدارت راكعة على المقعد الأمامي وأخرجت المفاتيح من حقيبتها وفتحت الحقائب، وأخذت تلتقط ثيابها وهي تعلم أن ما ستستعمله ستخسره لأنها لن تتمكن من التوقف لاستعادته وعضت على شفتها.

فلم تكن تفكر بشكل سليم، إذا ما فائدة هذه الملابس لها لو أنها تجمدت حتى الموت؟

وأخذت كنزتين سميكتين من الصوف، أعتقدت أنهما ستفيان بالغرض. وخرجت من السيارة ثانية وانحنت لتدفعها تحت الإطارات الخلفية. وحاولت جاهدة أن تبقى هادئة الأعصاب في وقت بدا كل شيء حولها مصمم على إثارة الشعور بالهلع داخلها، وكانت تركز على ما تفعله حتى أنها لم تلاحظ اضواء سيارة تضيء المكان ولم تسمع صوت محركها الذي طغى على صوت الريح.

وانتبهت بسرعة وفي الوقت المناسب لتتنحى عن طريق رانج روفر كبير توقف إلى جانبها على الطريق الضيق ناثراً الثلج عليها. وارتجفت من المفاجأة أكثر من ارتجافها بسبب البرد. وشاهدت رجلاً

يخرج من السيارة ويسير بتثاقل حول السيارة نحوها. كان من المستحيل تمييز ملامحه، كل ما لاحظته أنه طويل عريض الكتفين، وغمر الشعور الارتياح كل احساس آخر لديها. وكانت على وشك أن تشكره لوصوله في الوقت المناسب، عندما توقف امامها صرخ بها بصوت جاف وغاضب «هل تحاولين قتل نفسك»؟

وحدقت مارلين به وقد اسقط بيدها وهي تحجب عينيها بيدها.

ـ استميحك عذراً؟...

ـ اوه... انكليزية!. ماذا تحاولين أن تفعلي بالضبط؟

صوته كان فيه لكنة خفيفة ولكنه دون شك من سكان تلك الضواحي وبعد أن تعودت عيناها على الضوء المنبعث من السيارة. استطاعت أن تلاحظ شعره الكثيف والشديد السواد بالمقارنة مع لون الثلج الأبيض.

ـ لقد غرزت سيارتي، كما ترى.

وتفحص الرجل السيارة ثم قال بخشونة:

ـ إنها ليست سيارة من النوع المناسب لهذه الطرقات اليس كذلك؟

وحافظت مارلين على أعصابها بصعوبة وقالت:

ـ لا.. أعترف بأنها معتادة على طرق أكثر تمدناً!

وظهرت ابتسامة خفيفة على طرف فمه:

ـ دون شك، أين تقصدين بالضبط؟

ـ كولنسايد أهي بعيدة كثيراً؟

ـ عن الطريق الرئيسية لا، بضعة أميال فقط. ولكن بالاتجاه الذي تسيرين فيه ستصلين في الغد.

ـ ماذا تعني؟

ـ وماذا تظنين بأنني أعني؟

ـ أتعني أنني أسير في اتجاه خاطىء؟

ـ تماماً

وانحنى وازاح الثياب التي وضعتها تحت الإطارات.

ـ الأفضل أن تبعدي هذه. فلن تفيدك.

ـ ماذا تعني؟ ما هو الخطأ الذي ارتكبته؟

فابتسم بسخرية.

ـ ربما تعرفين الجواب أكثر مني. ولكنك انحرفت عن الطريق إلى حيث تقصدين بحوالي النصف ميل.

ـ ماذا؟

ـ أخشى أن يكون هذا صحيحاً. في هذه الظروف سهل أن يضلّ المرء الطريق. لقد شاهدت آثار دواليبك وتبعتك. ولو أكملت طريقك لوصلت إلى المراعي!

ـ ماذا؟

وذعرت مارلين، وشعرت بضعف ساقيها عندما أدركت كم أنها كانت تسير نحو كارثة. واتكأت على سيارتها قائلة:

ـ أنا.. أعتقد أن عليّ أن أشكرك.

ـ ليس ضرورياً.. كنت سأفعل الشيء نفسه لأي إنسان. على كل عليك أن تتركي سيارتك هنا الليلة. فلا أرغب في جرّها في هذا الطقس. إذا أحببت أن أضع حقائبك في اللاندروفر، سآخذك إلى الفندق، وستتدبرين أمر سيارتك عندما يتحسن الطقس.

وترددت مارلين «هذا... هذا لطف منك. ولكنني لا أعرف حتى اسمك».

وقطب جبينه، ثم تجاوزها ليفتح باب سيارتها الخلفي ويأخذ حقائبها. وأقفل الحقيبة المفتوحة، بأزدراء كامل لما تحتويه، واستدار إليها قائلاً:

ـ لا أعتبر أن الوقت مناسب الآن للرسميات، وإذا كان هذا يعني

www.elromancia.com

شيئاً لك فأسمي باتلي!

ـ باتلي؟ . . أنا . . . أنا مارلين ڤيرسون.

ـ ولم يبدو عليه أنه سمعها، حتى ولو سمعها فقد اعتبر الأمر غير مهم. فهزت مارلين كتفيها وتنحت جانباً ليمر حاملاً الحقائب إلى السيارة.

ـ الأفضل أن تدخلي السيارة قبل أن تتجمدي حتى الموت! سأقفل سيارتك. هل المفاتيح معك؟

وهزت رأسها، ثم دخلت سيارته، لتجد أنها دافئة، وأحست عندها كم كانت تشعر بالبرد دون أن تحس تقريباً.

ودخل إلى السيارة، بعد أن تفحّص دواليبه برفس كل منها بحذائه السميك، وجلس إلى جانبها، وأضاء النور الداخلي وأخذ يتفرس بها عن قرب للمرة الأولى دون أن يحجبها عنه حاجز الثلج المتساقط.

ووجدت مارلين من جانبها أن تفحّصه هذا يثير القلق. وانزعجت لإحساسها بالدماء ترتفع إلى وجهها. لقد وجد بالتأكيد أن مظهرها يثير الأهتمام، ولكنها رفضت في نفسها أن تستجيب لهذا التدقيق المتغطرس، وقررت ان لا تهتم بهذا الوجه المتفرس. كان وسيماً بكل ما في الكلمة من معنى، مع أن أنفه بدا وقد كسر في وقت سابق وعيناه غائرتان في قسمات وجه بارزة، ومع ذلك لم تستطع الإنكار أن النساء يجدنه جذاباً. كان يبدو أطول منها بحوالي الثلاثة إنشات جسمه بارز العضلات، ولكنه أكثر ما أحست به من اثارة كان بسبب مظهره الرجولي. لا بد أنه من نوع الرجال الذين كانوا يرعبون الساكنين على الحدود أيام كانت هذه البلاد لتتنازعها مملكتين مختلفتين، عندما كان أسلافه يسيطرون على الآلاف من ابناء بلدهم.

كانت مستغرقة بالتفكير حتى أنه عندما تكلم جفلت.

ـ ماذا تفعل فتاة مثلك بالضبط هنا في عز الشتاء؟

ـ أنا ذاهبة إلى فندق «وايت بيل» في كولفسايد.

ـ حقاً؟ إنه مكان من الغرابة أن تقصديه في مثل هذا الوقت من السنة. فليس فيه أماكن للتزلج ولا أماكن للتسلية.

ـ لا بأس عندي سيد باتلي، فلا أنوي التسلية.

وهز كتفيه واستدار ليطفىء الضوء الداخلي ويدير المحرك، واستدار بالسيارة ليعود من حيث أتى، وقطع اللاندروفر الطريق بقوة، وأدركت مارلين أنهما عادا إلى الطريق الصحيح.

وخف تساقط الثلج الآن وتبددت العتمة بشكل ملحوظ، وأضاءت الطريق أكثر بمصابيح السيارة، ولكن الريح استمرت تنفخ من حولهما واستطاعت أن ترى أين تسير بهما السيارة. وكان باتلي سائقاً ماهراً، وشعرت بالأمان معه، وقد أدركت أنها كانت ستلاقي صعوبة لوحدها على هذا الطريق الذي أصبح الآن جليدياً كالزجاج. ولم يتحدث اليها ثانية. واخذت تفكر بخطيبها. وحاولت تصور ماذا كان سيقول عن رفيقها.

وتحولت الطريق فجأة نزولاً، وانزلقت مارلين في مقعدها قبل أن تستطيع الإمساك بحافة مقعدها وتستوي ثانية. على كلا جانبي الطريق كانت تمتد غابات من الصنوبر وأغصانها مليئة بالثلج، ومن فوقهم استطاعت ان ترى جبالاً عالية تغطي المنطقة، ورغبت في أن تسأل عن اسم الجبال هذه ولكنها ترددت في كسر الصمت المخيم بينهما. ثم استوى الطريق مرة أخرى ولاحظت أنهما اصبحا في وادٍ ضيق.

أمامهما كانت الأضواء تلمع، ومالت إلى الأمام بإعجاب. وبينما هما يقتربان رأت امامها فندق وايت بيل الذي كانت تقصده. وكان الفندق يقع على سطح جبل مرتفع، المروج أمامه غلفها الضباب ومنحدراته السفلى معتمة بأشجار الصنوبر التي تصل إلى الفندق نفسه، والدخان يتصاعد من العديد من مداخنها، وبدأت الكلاب تنبح

لتعلن عن وصولهما. والقت مارلين رأسها في مقعدها بارتياح. فها قد وصلت، وللحظتها هذا كل ما حاولت التفكير به.

أوقف باتلي الروفر امام الفندق، وأطفا المحرك، وخرج دون أن يكلمها، وحملت قفازها وحقيبة يدها وحاولت فتح الباب، ولكنه كان قد استدار ليفتحه لها ثم دخل الفندق. وعندما نزلت من السيارة وجدته قد اختفى في الداخل، وتقدمت من المدخل خائفة. ماذا لو لم يكن لديهم غرف فارغة؟ ماذا لو أن الفندق مقفل بوجه الضيوف؟

داخل الباب المصنوع من السنديان السميك، أصيبت بالدهشة، فخلف ردهة المدخل كان هناك مساحة صغيرة للأستعلامات مفروشة بسجاد وأثاث قديم ولكن بحالة جيدة جداً، وكان فيها طاولة للأستعلامات عليها دفتر التسجيلات وجرس صغير لأستدعاء الخدمة، والإضاءة فيها كهربائية رغم ضعفها.

وتشجعت بمظاهر الراحة هذه، فتقدمت نحو الطاولة وقرعت الجرس، وهي تتساءل في نفسها أين ذهب باتلي. وفتح باب خلف طاولة الاستعلامات وبرزت منه امرأة شابة. ولم تكن تتوقع هذا، صغيرة وشديدة للشقرة، جسمها ملفوف، وكانت تبدو أنيقة بثوبها الصوفي. وابتسمت بأدب لمارلين وقالت: «نعم؟ هل استطيع مساعدتك؟».

وابتسمت مارلين بالمقابل «آه.. هل بإمكانك تدبير غرفة لي للليلتين؟».

- أظن أن بإمكاني ذلك .. آنسة...؟

- آه.. فيرسون! مارلين فيرسون.. شكراً لله! كنت أخشى أن لا يكون هناك أماكن شاغرة، أو أن تكونوا غير مستعدين لاستقبال الزبائن في الوقت الراهن!

- في هذا الوقت من السنة يوجد دائماً غرف فارغة. هناك بضع

نزلاء ولكنهم لن يزعجوكي ابداً. هل قلت ليلتين أو ثلاثة؟

- على الأقل.. أنا... لديّ عمل في الجوار، ولست متأكدة كم سيستغرق من وقت.

اخبريني هل القرية بعيدة؟

- إنها قرية صغيرة جداً يا آنسة فيرسون. إنها على بعد نصف ميل من هنا نحو الوادي.

وتوقفت عن الكلام مترددة، من الواضح انها تشعر بالفضول لتعرف سبب اهتمام مارلين بالقرية. ولكن مارلين فضّلت عدم إعلامها في الوقت الحاضر.

- سيارتي معطلة على بعد أميال من هنا، قرب الطريق. أهناك كاراج هنا....

- فهمت.. أقرب كاراج في البلدة على بعد خمسة أميال من هنا، بإمكانك الأتصال بهم غداً إذا تحسن الطقس.

- اوه.. أجل! شكراً لك.. السيد باتلي أوصلني الى هنا. ودخل الى الفندق هل تعرفين أين هو؟ أريد أن أشكره. وحقائبي في سيارته.

وترددت الفتاة ثم استدارت نحو الباب خلفها وفتحته ونادت بحدة: «جان!» وبعد لحظات ظهر باتلي.

كان قد خلع السترة الفرو التي كان يرتديها، وبدا أسمر وأكثر رجولية ببنطلونه الضيق القاتم وكنزته الزرقاء العالية عند الياقة. وشعرت بأنها استعجلت بالسؤال عنه، فقد يتصور أنها سألت عنه متعمدة انتباهه نحوها، وحاولت عدم التفكير بعلاقته بالفتاة.

في الواقع كانت مختصرة جداً في شكرها له، وانحنى رأسه بأدب لكلماتها:

- الأمر غير مهم، صدقيني، فأنا معتاد على إنقاذ الحملان الضائعة، وحالتك لم تكن مختلفة!

وابتسمت مارلين له والتفتت الى الفتاة قائلة «سأحضر حقائبي!».

واستدار باتلي من خلف الطاولة وقال «سأحضرها لك!» فقالت له:

ـ «شكراً».

وأخذت الفتاة تراقبها بفضول بينما كان باتلي يختفي في الخارج، وتحركت مارلين منزعجة من تحديقها بها، يا للسماوات من تكون هذه الفتاة؟ غريبة الأطوار أم ماذا؟

وعاد بعد لحظات، ووقف في الردهة وفي كل يد يحمل حقيبة. وأعطت الفتاة مارلين مفتاحاً وهي تقول «الغرفة رقم سبعة. في أعلى الدرج إلى اليمين».

وأخذت مارلين المفتاح وقالت «شكراً لك» واستدارات نحو الدرج بينما أكملت الفتاة «ستحضر الخادمة بعد قليل لتحضر لك الفراش».

وصعدت الدرج الخشبي الذي استدار عند نهايته قليلاً ليصل إلى ممر، وتطلعت حولها، فهز باتلي رأسه وقال:

ـ رقم سبعة.

وكانت تسير في الممر عندما فتح باب آخر وخرج منه رجل مسن ووقف ينظر إليها بفضول. وحياه باتلي، فقطب المسن وسأل بحدة:

ـ من هذه يا جان؟

ووضع باتلي حقائبها خارج باب غرفتها وقال «هذه الآنسة ڤيرسون» إنها ضيفة جديدة».

ـ اوه.. هل هذا صحيح؟ لم تقولوا إنكم تتوقعون وصول أحد؟

ـ لم نكن نعلم أنها قادمة... هل أنت ذاهب لتناول الشاي؟

ـ اوه.. اجل... اجل...

واستدار وتوجه نحو الدرج، واستدار باتلي بدوره وابتسم:

ـ حسناً.. هل تتدبري امرك من هنا؟

وفتحت مارلين الباب، ومد يده يدفعه لها قائلاً:

ـ إنه ليس مقفلاً. ليس لدينا هنا ما يدعو إلى الأحتياط.

ودخلت إلى الغرفة وتبعها ليضيء الأنوار. كانت الغرفة جذابة جداً. ستائرها ملونة بالرسوم وأغطية السرير مطرزة. أثاثها كان من خشب السنديان القديم، المصقول جيداً كما الأثاث في الأسفل. وفتح الستائر واستدار ليواجهها وتحركت بسرعة وأدخلت حقائبها لتتفادى نظرته. فقال لها:

ـ ليس هناك حمامات خاصة، هناك حمامان عند نهاية الممر، وإذا كنت ممن يتأخر في النوم فلن تواجهي صعوبة.

ـ ولماذا تظن أنني أتأخر في النوم!

ـ سكان المدن غير معروف عنهم النهوض الباكر في الصباح.

ـ وهل انت متأكد أنني من سكان المدن؟

ـ دون شك.. العشاء عند السادسة والنصف. الوقت مبكر ولكن الطباخ يحب الذهاب إلى منزله عند التاسعة.

ـ يبدو أنك تعرف الكثير من الأمور حول هذا المكان سيد باتلي!

ـ يجب عليّ هذا، فأنا أدير المكان.

ثم خرج وأغلق الباب وراءه.

وحدقت بالباب خلفه بذهول.. إنه يدير المكان! لقد اعتقدت في البدء أنه ضيف، وهذا يفسر ايضاً سبب وجوده في الغرفة خلف طاولة الاستعلامات، وربما تكون الفتاة الشقراء زوجته. ليس هناك الكثير من المتعة لفتاة شابة مثلها تعيش هنا في هذه الاماكن النائية من اسكتلندا دون سبب معين.

وهزت كتفيها.. الأمر لا يهم.. المهم ما أتت هي من أجله، وغداً يجب أن تقوم ببعض البحث حول «الصومعة».

وفتحت حقائبها لتخرج ثياب النوم، وفستاناً لترتديه عند العشاء ذلك المساء، واخذت تفكر ما إذا كان عليها أن تتصل بخطيبها، فقد

يرتاح باله عندما يعرف أنها وصلت بالسلامة. على كل لم يكن يريدها أن تأتي هذه المسافة من دونه، ولم يكن سهلاً عليه أن يترك عدة قضايا بين يديه. لقد ترجاها ان تنتظر إلى أن يفرغ من عمله حتى يرافقها، ولكنها أرادت، لمرة واحدة، أن تعمل شيئاً بمفردها. ربما علمها بأنهما سيتزوجان في آذار جعلها تسعى لأخذ نزهة لها في عمل شيء مستقل! وربما يكون السبب سعادتها في أن ترث منزلاً مثل «الصومعة» مما دفع كل الأفكار الباقية خارج ذهنها.

٢ ـ آثار أقدام

استيقظت مارلين في الصباح التالي، تغلب عليها مشاعر الأمل والترقب. هناك شيء مختلف ومرضي في كونها لوحدها دون اضطرارها لمشورة أحد سوى نفسها. فمن حقها أن تظهر الاستقلالية أحياناً، فخطيبها كان دائماً مستعد لحمل الأعباء عنها وجعل حياتها مريحة قدر المستطاع.

ونظرت إلى ساعتها فوجدت أنها قد تجاوزت الثامنة، فخرجت بسرعة من الفراش وارتجفت من البرد وهي تتجه نحو النافذة. وعندما فتحت الستائر لم تستطع أن تخفي شهقة إعجاب للمنظر الذي برز أمام عينيها. فقد عاد الثلج إلى السقوط بكثافة، ولم يكن بإمكانها رؤية سوى الضباب من خلف أشجار الصنوبر المتجمدة. وعادت إلى سريرها لتلتقط روب النوم. يا للسماء! كم ستستمر هذه العاصفة؟ ولو استمرت فكيف ستجد سيارتها، وتأتي بها الى الفندق؟

وفتحت باب غرفتها، وحدقت من حولها، فلم ترى أحداً. فاخذت منشفتها ولوازم الحمام، واتجهت بسرعة إلى الحمام. في الحمام

www.elromancia.com

فتحت أنابيب الماء وتركت المغطس ليمتلىء، واخذت تنظف أسنانها، ولم تلاحظ أن البخار لم يكن يتصاعد من الماء كالعادة، وعندما وضعت قدمها في الماء سحبتها بسرعة وهي تشهق، فقد كانت المياه باردة.

وبانزعاج أفرغت الماء من المغطس، وغسلت وجهها ويديها على المغسلة. ثم فتحت باب الحمام لتواجه الرجل الذي رأته بالأمس والذي دعاه باتلي بالسيد ستانلي. فبادرها قائلاً:

ـ صباح الخير.

ـ صباح الخير... الماء في الحمام بارد!

ـ اوه.. هل هذا صحيح؟ إذاً فسخان المياه قد تعطل من جديد.

ـ وهل يتعطل دائماً؟

ـ اجل.. بعض الأحيان، ولكنك لن تشعري بالبرد. جان سوف يتأكد من وجود النار في مدفأة غرفة الطعام.

وعادت إلى غرفتها، وأخرجت من حقيبتها بنطلوناً سميكاً وكنزة وارتدتهما قبل أن تسرّح شعرها، الذي كان يصل إلى كتفيها، فربطته بعقدة خلف رأسها ونظرت الى المرآة برضى، ثم التقطت حقيبة يدها وخرجت من الغرفة.

كانت النار مشتعلة في مدفأة غرفة الطعام، ولكنها كانت فارغة. ويستخدم الفندق الحطب لإشعال النار، الذي يعطي إضافة للدفء الشديد رائحة الصنوبر العطرة. ووقفت أمام النار وظهرها إليها تشعر بالدفء الغامر. وفتح الباب ليدخل باتلي.

ـ آه!.. آنسة ڤيرسون، صباح الخير، آمل ان تكوني أمضيت ليلة هادئة.

ـ لقد نمت جيداً. شكراً لك سيد باتلي.

ـ جيد.. لقد اعتقدت هذا، فالأسرّة هنا مريحة.

ـ إنه جميل أن أشعر بزجاجات الماء الساخن مرة أخرى في الفراش. فقد اعتدت على الأغطية الدافئة بالكهرباء!

ـ من المؤسف أن ينسى الناس أن اجسادهم خُلقت لتستخدم، فأنا أجد أن الأغطية الكهربائية تدمّر قدرة الجسد الطبيعية على التدفئة الشخصية.

ـ إنك على حق، ولكن أخشى أن لا يكون الجميع لديهم قوالك الجسدية. فأنا خفيفة الجسم وأسعى إلى الراحة قبل أي شيء آخر.

ـ إذا كنت تشعرين هكذا، فكان يجب أن تختاري وقتاً افضل لزيارة هذه المنطقة!

ـ ولكنني مستعدة لمواجهة أي نوع من الظروف.

ـ حقاً؟ أنا سعيد بشعورك هذا آنسة ڤيرسون. لأنني أعتقد أنك ستكونين ضيفتنا لفترة أطول مما كنت تنوين.

ـ ولماذا؟

ـ ظروف الطقس في هذه المنطقة لا يمكن التنبوء بها. وإذا كنت تنوين المغادرة قريباً. فلن تتمكني من ذلك.

ـ لا أستطيع المغادرة حتى.. هل هناك فرصة لاستعادة سيارتي؟

ـ أشك في هذا كثيراً.

وابتسم. واطلقت مارلين تنهيدة، وشعرت بالقلق لعلمها أنها قد تصبح سجينة رغماً عنها في هذا المكان.

ـ لقد فهمت! حسناً ما علينا سوى توقع الأفضل، أليس كذلك؟

ـ عزيزتي الآنسة ڤيرسون، إذا كنت تشعرين هكذا، فمن أنا لأعترض!

ـ ولكنني لن ازعجك.

ـ لن تزعجيني أؤكد لك. فأنا متعود تماماً على تقلبات بنات جنسك!

واذا كنت قد اخترت السفر عدة مئات من الأميال لتقيمي في فندق في قلب هذه المنطقة الباردة وفي ظروف الطقس هذه.. فهذا شأنك!

واحمّر وجه مارلين وأجابت بحدة «أجل.. إنه شأني!» فابتسم لغضبها وقال «سيكشف الوقت عن كل شيء دون شك. وحتى ذلك الوقت.. اعذريني!

واستدار ليخرج فنادته قائلة «سيد باتلي!» والتفت إليها بتعبير ساخر «نعم؟» ورفعت كتفيها وقالت بجفاء:

- أرجو أن تخبرني متى أستطيع أن اغتسل؟

- آه.. أجل بالطبع آنسة ڤيرسون، أعتذر! لقد تعطل السخان ليلة أمس. ولكنه عاد إلى العمل الآن، وتستطيعين الاستحمام بعد الإفطار.

- شكراً لك.

- أعتقد أن استعدادك لمواجهة أي طارىء لا يشمل الاستحمام بالماء البارد!

ألقى ملاحظته هذه وخرج من الغرفة قبل ان تتمكن من التفكير برد مناسب عليه. ووقفت تعض شفتها، وفتح الباب مجدداً ودخلت المرأتان المسنتان المقيمتان في الفندق، فابتسمت لهما وقالت:

- صباح الخير.. أليس الطقس مزعجاً؟

وردت إحداهما التحية بينما قالت الأخرى «نحن متعودون على هذا الطقس فنحن نعيش هنا!».

- اوه! صحيح؟

- اجل.. فشقيقتي وأنا تقاعدنا منذ سنوات، وقدمنا للعيش هنا بقية أيامنا.

- آه.. فهمت.. ولكنني أعتقد أنكما تفضّلان المكان عندما يكون الطقس دافئاً، أليس كذلك؟

- بل نحن نحب المكان في كل فصول السنة. الشتاء هنا جميل. ثلج كثير ونار الحطب، وشوي الكستناء...

وقاطعتها المرأة الأخرى «... والكثير من التوت البري... هل ستبقين إلى يوم الميلاد... آنسة.. آنسة...».

- ڤيرسون مارلين ڤيرسون.

- نحن ندعى سوليڤان، جين واليزابيت سوليڤان.

وصافحتهما مارلين بأدب وقالت:

- لا أتوقع أن أبقى إلى الميلاد.. أتوقع أن أعود إلى لندن في خلال اسبوع فلديّ وظيفة.

- آه.. ما نوع وظيفتك آنسة ڤيرسون؟

- تزيين كتب الأطفال بالرسوم.

- حقاً؟ هذا مثير للاهتمام!

- اجل.. وأنا أتمتع بعملي.. وما أريد حقاً أن أعمله هو أن أكتب هذه القصص وأزينها بالرسوم في نفس الوقت.

- ولماذا أتيت الى كولينساير آنسة ڤيرسون؟ هل تبحثين عن مواضيع لعملك؟

- في الواقع لا.. لقد اتيت لأرى منزلاً بالقرب من هنا، «الصومعة».

- الصومعة! هل هو المنزل العائد للمرحوم انجلو كبرتني؟

- اجل هذا صحيح.. هل تعرفانه؟

وأجابت اليزابيت «سمعت عنه، أجل» والتفتت الى شقيقتها جين «وأنت تعرفين المنزل أيضاً، أليس كذلك يا جين؟» وردت جين «اوه.. إنه ذلك المنزل البشع قرب القرية أليس كذلك؟» وهزت اليزابيت رأسها «طبعاً» واستدارت الى مارلين «ولكن ماذا تريدين من مثل هذا المكان الرهيب؟ طبعاً لا تفكرين بشرائه؟».

- لا.. لا أفكر بشرائه، أريد فقط رؤيته، هذا كل شيء.

- وسافرتِ كل هذه المسافة لرؤية الصومعة؟ وفي وسط الشتاء؟

- اجل.. هل يمكن ان تدلاني كيف أصل إلى هناك؟

وفتح الباب في تلك اللحظة ودخل ستانلي وحيا الجميع، وجلستا إلى طاولة لشخصين، وتنهدت مارلين وجلست إلى طاولة منفردة. فالرد على جوابها لم يحن وقته، إضافة إلى أنها غير مستعجلة. وتناولت إفطارها على مهل.. وعندما انتهت كان الجميع قد غادروا غرفة الطعام. فتجولت في الفندق قليلاً ثم صعدت الى غرفتها، وبما أن السخان قد عاد إلى العمل فقد عادت التدفئة إلى الغرفة، وسحبت الكرسي المريح من قرب السرير وجلست قرب النافذة وأخذت تحدق الى الخارج، مفكرة، ماذا يفترض ان يفعل المرء هنا في مثل هذا الطقس؟ لا تستطيع أن تبقى طوال النهار في غرفة النوم! كانت غرفتها تطل على فناء الفندق، وشاهدت أحد النزلاء يزيل الثلج من أمام الباب، ربما بإمكانها أن تـ ـ في الخارج. وربما تستطيع أن تصل إلى القرية وتسأل عن مكان وجود الصومعة، دون إثارة فضول اكثر في الفندق.

واستدارت الى حقيبتها، لحسن الحظ أحضرت معها حذاءها الطويل الساق وارتدت بعض الملابس السميكة وفوقها معطفها المصنوع من جلد الخروف وقبعة الفرو، وقفازها. ونزلت السلم إلى الطابق الأرضي، وازاحت الأبواب الدوارة وخرجت نحو العالم الأبيض في الخارج، وصدمها البرد حتى كاد يقطع أنفاسها، ولكنها دست يديها في جيوبها. وتطلعت الى واجهة الفندق، وبدا لها دافئاً ومريحاً، ولكن قضاءها اليوم بطوله تضيّع لوقت وهي جالسة، فكرة لم تتحملها. ومضت في طريقها نحو منعطف الطريق حتى وصلت إلى بوابة مغطاة بالثلج، وشيء ما جعلها تتوقف وتحدّق خلف البوابة إلى

المنزل عند نهاية الممر المشجّر على الجانبين. وباد المكان مهجوراً. وترددت لحظة قبل أن تخطو نحو البوابة. وحدقت جيداً، المنزل فارغ بالتأكيد وهو على كتف سفح الجبل كما الفندق، واذا لم تكن مخطئة، فالقرية قريبة، وقالت الشقيقتان سوليفان إن البيت قرب القرية، إذاً يمكن أن يكون هذا هو الصومعة.

ودون أن تتردد دفعت البوابة وسارت في الممر ببطء. المفاتيح التي أعطاها لها المحامي موجودة في حقيبة يدها في الفندق، لذا لن تتمكن من دخول المكان ولكن ستلقي نظرة عليه، وربما تنظر إليه عبر النوافذ. كان بالفعل منزلاً بشعاً قديماً. ولخيبة أملها كانت النوافذ الأمامية مقفلة، واستدارت إلى خلف المنزل، وفوجئت برؤية آثار اقدام ضخمة عند الباب الخلفي.

هل يمكن أن تكون مخطئة؟ ربما هذا المكان ليس الصومعة، وإذا كان الأمر كذلك فهي تتطفل على أملاك الغير. وهزت رأسها بارتياب فالقرية هنا صغيرة جداً ولا مجال أن يوجد فيها منزلين لهما نفس المواصفات، وكلاهما مهجوران.

وشعرت مارلين بالقلق، ماذا لو كانت على حق؟ ماذا لو كان هذا هو الصومعة، وشخص ما يستخدمه كمكان للنوم؟ على كل ليس هناك آثار أقدام عند الباب الأمامي، وهذا يظهر أن من يستخدمه يريد أن يبقى في الخفاء.

وارتعدت، لقد اصبح الآن هناك آثار أقدام في الناحية الأمامية، آثار أقدامها هي! وأي شخص قد ينظر إلى الخارج من النوافذ العليا سيراها. وساورتها رغبة بالهرب، ولكن تذكّر وجه خطيبها يبتسم بسخرية لعدم قدرتها على تدبير شؤونها بنفسها، دفعها إلى السيطرة على نبضات قلبها المتسارعة. هذا هو منزلها، وإذا كان هناك أحد في الداخل فعليه أن يذهب من هنا.

وتقدمت تحاول فتح الباب الخلفي، ولدهشتها انفتح فوراً على مصراعيه، لتجد امامها مطبخ فارغ وبارد، كان فيه فرن من النوع الذي لم تشاهده من قبل، يبدو انه يستخدم للطبخ وللتدفئة أيضاً. وطاولة مطبخ حقيرة، وعدة مقاعد خشبية قبيحة المنظر.

وأصغت السمع، ليس هناك أي صوت، يبدو أن من يستخدمه ليس هنا، وخطت إلى الداخل، ولكنها لم تغلق الباب وراءها تحسباً! وقطعت المطبخ نحو الباب المقابل، الذي قادها إلى ممر يبدو أنه يقود إلى الباب الأمامي للمنزل، وشاهدت السلالم التي تقود إلى الأعلى، كما أن هناك عدة أبواب تفتح من الممر نفسه.

واكتسبت مارلين ثقة أكبر بنفسها، اذ لم يكن هناك أثر لأي ساكن. وفتحت الباب المواجه للمطبخ، لتظهر لها غرفة الطعام، فيها طاولة مليئة بالغبار، وعدة كراسي، وخزانة أثرية مليئة بالأطباق والفناجين.

وكشف باب آخر عن المكتبة، الكتب مرصوفة على الرفوف، وطاولة مكتب قد تفيدها في عملها بشكل رائع. وبدت غرفة أخرى كأنها غرفة الاستقبال وفيها طقم مقاعد قديم وعدة كراسي قديمة وطاولة. المنزل كله على ما يبدو مفروش على الطراز القديم، وقررت مارلين أن حملة تنظيف نشطة هو كل ما بحاجة إليه. وارتفعت روحها المعنوية، فلو أنها ستضطر إلى البقاء أكثر في كولنسايد، فستستطيع أن تحقق هذا بنفسها.

وكانت مستغرقة في تفكيرها، حتى أنها لم تسمع وقع الخطوات على السجادة البالية للدرج، ولم تسمع الرجل وهو يقترب من باب غرفة الاستقبال ليقف هناك ويحدق بها بذهول واضح.. وقال لها بصوت عميق:

ـ هل تمانعين بحق الجحيم أن تقولي ماذا تفعلين هنا؟

واوشكت مارلين على الانهيار، كانت المفاجأة شديدة، واستدارت

لتجد في مواجهتها جان باتلي وصاحت به:

ـ انت؟.. آثار أقدامك التي في الخارج؟

ـ أجل.. ولكنك لم تجيبي على سؤالي. سألتك ماذا تفعلين هنا!

ـ أنا.. أنا قد أسألك نفس السؤال.

ـ لقد سألت أنا أولاً!

ـ حسن جداً.. إذاً.. أنا أملك هذا المكان، أليس هذا الصومعة؟

ومرت لحظات ظنت نفسها مخطئة، وأنها قد قامت فعلاً بانتهاك حرمة أملاك الغير. ثم قال على مهل ووضوح:

ـ اجل آنسة ڤيرسون، إنها الصومعة، ولكنك لست مالكته، بل أنا!

☆ ☆ ☆

www.elromancia.com

٣ ـ صراع على الميراث

وفقدت مارلين القدرة على النطق للحظات، ووقفت تحدق به بذهول كأنه نوع من الاشباح الشريرة. ثم استجمعت قواها وقالت بتؤدة:

ـ يبدو أن هناك سوء تفاهم سيد باتلي. انجلو كيرتني ابن عم والدتي، وكانت قريبته الوحيدة، وبما أنها توفيت، أصبح الصومعة لي.

ـ هكذا إذاً.. ومن قال لك إن الصومعة لك؟

ـ إنهم.. المحامون بالطبع.

ـ أي محامين؟

ـ ماكدونال وبرايسون.

ـ آه.. هل اتصلوا بك في لندن؟

ـ محاميّ اتصل.. أجل..

وتصلبت مارلين، إنها تسمح لدهشتها بوجوده هنا أن تضعف حجتها. وكان بكل بساطة يستغلها لكسب ما يستطيع من معلومات، فقالت:

www.liilas.com

ـ والآن، ربما تخبرني لماذا تصورت أن الصومعة لك؟

وادار باتلي عينيه اليها، وتحركت قليلاً وهي لا تشعر بالارتياح. لن تسمح لنفسها بأن تكون خائفة منه، ولكنه يقلقها بطريقة لم يفعلها رجل من قبل لطالما وجدت الرجال سهلي الانقياد، ولكن جان باتلي كان مختلفاً. وقال لها ببرود «انجلو كرتني كان والدي».

وتراجعت خطوة إلى الوراء، «ماذا؟» وهزت رأسها «ولكن.. ولكن المحامين!.. لم يقولوا إنه متزوج!».

وحدق بها جان باتلي بسخرية، وقال «لم يكن متزوجاً!».

وأحسّت بالدماء تندفع إلى وجهها لكلماته، وشبكت أصابعها معاً بعصبية. كانت واثقة أنه يتمتع بقلقها، ولكن هذا لم يمنعها من الشعور بالارتباك، وحاولت بيأس أن تجد ما تقوله، ولكن تصريحه لا مجال للرد عليه.

ومد يديه مستفسراً «حسناً؟ ماذا تنوين أن تفعلي؟».

وعضت على شفتها لتمنعها من الارتجاف وردت:

ـ أنا.. أنا.. أوه. لا أعلم.. أنا.. لقد شعرت فجأة أن ليس لي حق بالمكان!

ـ اوه.. هيا الآن آنسة ڤيرسون! وفري عليّ هذه التفاهات! أنا أدرك تماماً أنني صدمتك حتى العظم، ولكن لا تدعي هذا يؤثر على حكمك. وأنا واثق أن ماكدونال وبرايسون يوافقون معي!

ـ والد.. والدك كتب وصية...

ـ لقد قدّرت هذا. ولكنني أعتقد أنها وصية قديمة.

ـ أجل.. ربما ترك.. واحدة ثانية.

ـ لا بد أنه نسي أنه كتب الأولى، لقد كان عجوزاً آنسة ڤيرسون، وغير مهتم بالأمور الدنيوية.

ـ لم تذكره أمي سوى مرات قليلة، ولم أقابله من قبل.

ـ يبدو أن أمك كانت قريبته الوحيدة، وهو لم يتزوج أبداً.

ـ ولكن والدتك...

وتوقفت عندما لاحظت تعبيره الغاضب، وأجابها بحدة:

ـ والدتي تزوجت من شخص آخر. ولا أعتقد أن تفاصيل حياتي الخاصة تهمك.

ـ أشعر بالفظاعة...

ـ ولماذا؟ لا يمكن أن نكون مسؤولين عن تصرفات الآخرين.

وتقدم نحو الباب وهو يرتدي قفازه وتابع:

ـ سأتركك لتتفحصي أملاكك، ولكن نقطة واحدة، إذا فكرتي ببيعه فإن لي أفضلية على غيري!

واستدارت مارلين اليه، وقد مدت يدها متوسلة تقريباً:

ـ أوه.. أرجوك.. أرجوك لا تذهب.. أنا.. حسناً.. أنا أتمنى عليك أن تبقى.

ـ ولماذا؟

وخلعت قبعتها، وتركت شعرها يسترسل كستارة حريرية سوداء على كتفيها، وحول خديها المحمّرين. وقالت:

ـ نحن... نحن.. تقريباً، قريبان أليس كذلك؟ وبالطبع يمكن أن نصبح اصدقاء.. وأريد نصيحتك.

واتكأ باتلي على الباب بقربه، وقال وهو يحدّق بها:

ـ يدهشني أن تكوني من النوع الذي يتقبل النصحية من أي كان.

ـ ولماذا تقول هذا؟

ـ لا بد أن هناك شخص ما نصحك بأن لا تأتي إلى هنا في هذا الوقت من السنة. أليس كذلك؟ وأنت ترتدين خاتم الخطوبة.. ألم

يظهر خطيبك أي معارضة، أم أن الخاتم لمجرد الزينة، ولإثارة الفضول؟

- أجل.. أنا مخطوبة. وخطيبي اعترض بالفعل، واقترح أن أنتظر إلى الربيع للقدوم إلى هنا، ولكن لا بد أنك تفهم ضيقي لعدم رؤية المنزل طوال الشتاء.

- تستطيعين إيجاد أحد يعتني لك به. قد يكون المحامين مسرورين لتدبير هذا لك.

- لم أفكر بالأمر.

- ولماذا اردتي أن تأتي بنفسك إلى هنا؟

- أسبابي لن تقف أمام تعليقاتك عن الوضع.

- جربيني!..

- لقد أردت رؤية المنزل لأنني لم أمتلك منزلاً من قبل، حتى ولم أعش في منزل خاص. كنت دائماً أسكن في الشقق، وفكرت بغباء أن يصبح لي منزل هنا!

- فهمت.. وخطيبك؟ هل يوافق على الانتقال الى هنا؟

- أنا.. لم.. في الواقع لم أبحث الأمر معه بعد. إنه رجل أعمال.. في لندن.

- إذاً ربما يجب أن تبحثي الأمر معه.

هل تعتقد أنني غبية؟

- إذا قلت نعم، فإن مبرراتي يجب أن تكون على أساس، أليس كذلك؟

- في هذا الظرف أعتقد أنك يجب أن تخبرني برأيك.

- ولماذا؟

- لان المنزل لك أكثر مما هو لي!

- لا يا آنسة ڤيرسون، إنه منزلك.

- أنت تتعمد إساءة فهمي. ولماذا تريد المنزل على أي حال؟

- لأعيش فيه، وما غير هذا؟

- لو كنت أنا رجلاً ربما توصلنا إلى اتفاق ما.

- لو كنتي رجلاً لاختلف الوضع، ولكنت بعتيه بكل بساطة دون هذه الأفكار العاطفية السخيفة عن المنزل وما شابه...

- كيف تجرؤه على هذا القول، إذا رغبت في ترك لندن فهذا شأني!

- إذا كنت ترغبين في ترك لندن، راجعي حساباتك أولاً.. فهنا ليس مثل لندن على أي حال!

- وماذا تعني؟

- أخشى أن لا يكون لديّ الوقت الكافي للوقوف والنقاش معك كل الصباح، آنسة ڤيرسون. فلديّ عمل.. عذراً! واستدار نحو الباب ودون ان ينتظر ردها خرج.

بعد أن غادر وقفت للحظات وانفاسها مضطربة، ثم استعادت توازنها وأخذت تتجول في المنزل. الطابق العلوي كان يشابه الطابق السفلي كان مفروشاً بالكامل ولكن لو قررت العيش فيه فيجب عليها القيام بتغييرات كثيرة. ولم تغادر المنزل إلا بعد الحادية عشر لتعود إلى الفندق وقت الغداء، كان الثلج لا زال يتساقط بغزارة. ولدهشتها وجدت كومة من المفاتيح ملقاة على الطاولة في المطبخ، وقدّرت أن هذه مفاتيح باتلي التي يحتفظ بها للمنزل. ولم تستطع كبت شعور بالذنب، لتسليمه المفاتيح لها بهذا الشكل.

ولاحظت وهي تسير عبر الثلج نحو الفندق، أن سيارة سبور فخمة متوقفة أمامه، وبدت متنافرة كثيراً مع منظر اللاندروفر المتوقفة قربها. وتساءلت لمن تكون، هل هو ضيف جديد؟

الطعام يُقدّم عند الواحدة، لذا كان لديها الوقت الكافي للصعود

www.elromancia.com

الى غرفتها والاغتسال وتغيير ثيابها قبل وجبة الغداء. وعندما نزلت إلى الطابق السفلي، ذهبت مباشرة إلى غرفة الطعام، لتجد أن الاختين سوليڤان تجلسان حول النار تتحدثان إلى الرجل المسن الذي يقيم في الفندق أيضاً. وحيتاها بطريقة ودية وقدمتاها الى النزيل الآخر، واسمه آلان ماكدويل، الذي سألها أين كانت حتى اكتسبت هذا التورد في وجهها. وقررت أن توضح الأمور فقالت وهي تبتسم لجين سوليڤان:

ـ في الواقع ذهبت لرؤية الصومعة، وكما قلت كان قرب القرية، ووجدته بسهولة.

فرفعت جين حاجبها دون اكتراث وقالت «أوه.. لقد وجدته إذاً؟». وقطب آلان ماكدويل جبينه وقال «الصومعة! وماذا تريدين من هذا المكان القديم؟ هل هو للبيع؟ جان لم يذكر شيئاً عن البيع!».

ولاحظت مارلين نظرة ذات معنى رمقته بها اليزابيت سوليڤان ولكنه لم يسكت «انظري يا ليز، الجميع يعلم أن جان يملك الصومعة كما نعلم انه ورث العناد من انجلو العجوز».

وأحنت مارلين رأسها، فأمام مثل هذا الجدل لم تستطع أن تعلن أن الصومعة ملك لها. وشعرت بالارتياح بعد أن دخلت الخادمة الشابة ومعها الصواني التي تحمل الغداء، واضطر الجميع للتوجه إلى طاولاتهم. وكانت الوجبة لذيذة ومتنوعة، وتأكدت مارلين أن اسبوعين آخرين هنا، سوف يزيدان من وزنها، وبعد الغداء آوى المسنون إلى غرفهم، وأخذت مارلين كوب القهوة، وجلست قرب النار.

الآن، وقد شاهدت المنزل، وقيمته لنفسها، لم يعد هناك شيء يبقيها هنا.. وتستطيع العودة إلى لندن. فاقتراح باتلي أن تجد من يعتني بالمنزل، قد حل المشكلة مؤقتاً، ويبقى أمامها مشكلة استرجاع سيارتها. ولكنها لم تكن متحمسة لتفعل هذا، ربما بعد بضعة أيام

ستجد كراجاً مستعداً لان يقوم بهذا العمل، وحتى ذلك الوقت تستطيع أن تأخذ قياسات السجاد والستائر وما إلى ذلك.

وفجأة سمعت اصواتاً، وفتح باب غرفة الطعام ودخل باتلي ومعه فتاة لا تعرفها، كانت بنفس طولها، ولكن أنحف منها بكثير حتى أن عظام وجهها كانت بارزة، وشعرها اشقر جداً يبرز شحوب بشرتها. ومع أنها تبدو جذابة إلا أن ثيابها كانت تعوزها الأناقة بشكل كبير. وكانت تتعلق بذراع باتلي، وتمنت مارلين لو انها لم تر هذا المنظر، وزاد هذا الشعور عندما صوّب إليها باتلي نظرات باردة. وفكّرت بترك الغرفة لهما إلا أن ذلك قد يلفت النظر إكثر اليها،فجلست في كرسيها وضمت ساقيها تحتها، وأعادت نظرها نحو النار والحطب المشتعل.

وأفلت باتلي ذراعه من الفتاة وأمسك يدها قائلاً: «جيني، أود أن أعرّفك على نزيلة جديدة في «وايت بيل» الآنسة ڤيرسون!».

واضطرت مارلين للوقوف. واخذت الفتاة يدها بحرارة وقالت «كيف حالك؟ أنا جنيفر كارينغ» وابتسمت لها مارلين فتابعت جنيفر قولها «أنا أعيش بالقرب من هنا، في آخر الوادي.. هل أتيت لتقيمي هنا لوقت طويل؟».

ـ لا أتوقع هذا. إلا إذا أجبرتني ظروف الطقس.

ـ أجل، إن الطقس فظيع.. أليس كذلك؟ لقد كنت أقترح لتري على جان أن نقيم باحة تزلج إذا تجلّد الوادي، إننا معتادون على هذا الطقس.. أليس كذلك يا جان؟

وأجاب بجفاف «طبعاً» ونظر إلى جنيفر، وتعابير وجهه توحي بالحنان واللطف حتى أن مارلين شعرت بشيء من التوتر يطبق على حنجرتها. فمن المؤكد أنه لن ينظر إليها بهذه الطريقة. ولامت نفسها على تفكيرها هذا. وسألتها جنيفر «هل أنت في إجازة هنا آنسة ڤيرسون؟».

ـ ليس بالضبط.

وتطلع باتلي نحوها ببرود وقال «الآنسة ڤيرسون هنا لرؤية الصومعة» وبدت الدهشة على وجه جنيفر «الصومعة؟ هل أنت مهتمة بالأبنية القديمة آنسة ڤيرسون؟».

وقبل أن تستطيع التفكير برد مناسب، تدخل باتلي قائلاً:

ـ الآنسة ڤيرسون المالكة الجديدة للصومعة.

وشهقت جنيفر «أتعني.. أن انجلو له أقارب؟» وهز باتلي كتفيه «قريبة واحدة» وحدقت به جنيفر باهتمام ظاهر «أوه.. جان!». فقال لها بلطف «لا تظهري هذا الانزعاج يا جيني، فقد تقرر الآنسة ڤيرسون بيع المنزل لي».

وتنهدت جنيفر واستدارت نحو مارلين «آه.. وهل ستفعلين هذا آنسة ڤيوسون؟ نحن.. جان على الأقل يأمل بامتلاك الصومعة!».

ـ أنا.. أنا لم اقرر بعد.

ـ السيد كيرتني كان يقول دائماً إن المنزل سيصبح لجان يوماً ما.

وقاطعها باتلي:

ـ الآنسة ڤيرسون ليست مهتمة بدوافعنا لامتلاك المنزل...

ونظر إلى مارلين ثانية وأردف:

ـ أتوقع أنك ستغادرين قريباً آنسة ڤيرسون، بما أنك رأيت المنزل الآن.

ـ أنا... لم أقرر بعد.

ـ ربما من الأفضل أن تقرري، فالطقس يسوء بالتدريج، والتوقعات غير مشجعة.

ـ يبدو أنك نسيت أن سيارتي لا تزال عالقة في مكان ما..

ـ لا.. لم تعد كذلك. فعمال الكاراج وصلوا إليها هذا الصباح، ولا بد أنهم في طريقهم الآن إلى هنا.

ـ ولكن.. ولكن الفتاة قالت إنهم قد لا يتمكنون من هذا.

ـ لقد تكلمت مع المدير بنفسي، وأفهمته أنك لا تريدين التأخر أكثر في حالة الطقس هذه.

ـ لا أذكر أنني ذكرت كم أنوي البقاء! أعتقد أن عليّ أن أشكرك لاستعادتك سيارتي، ولكن في الحقيقة لا أعرف متى سأغادر!

كانت جنيفر تراقب تطور الحديث باهتمام، وتحركت مارلين نحو الباب، فهي لا تريد البقاء هنا أكثر والجدل معه حول شيء يخصها وحدها ووحدها فقط. ولكن باتلي بلغ الباب قبلها ووضع يده عليه مانعاً إياها من فتحه، وقال لها ببرود.

ـ إذا كنت قلقة حول حال المنزل في غيابك، فلا داعي للقلق. لقد اعتنيت به الثلاثة أشهر الأخيرة، منذ موت انجلو، وأنا مستعد لمتابعة ذلك إلى أن تقرري نهائياً ما تريدين.

ـ شكراً لك سيد باتلي، ولكن هناك بعض الأشياء أريد أن أنجزها قبل أن أذهب.

ـ مثل ماذا؟

ـ لا أرى أن الأمر يهمك، ولكن إذا اصررت، فانا أفكر بتنظيف المنزل. والتفتت اليها جنيفر:

ـ ولكن يا آنسة ڤيرسون، ليس بإمكانك القيام وحدك بهذا العمل... فالمنزل بكامله بحاجة لتنظيف.. إنه قذر تماماً..

ـ لا بأس بذلك فأنا معتادة على العمل الشاق آنسة كارينغ. والآن لو تعذراني كليكما...

وأزاح يده عن الباب، وأدار وجهه قبل أن ترى نار الغضب في عينيه لرفضها ما قدمه من مساعدة، وابتسمت لجنيفر وفتحت الباب، ولم تلاحظ بأنها ترتجف حتى بلغت السلم. وفي غرفتها أخذت تتجول جيئة وذهاباً، لماذا يريدها أن تغادر بهذه السرعة؟.. ليس لديه

الحق بأن يقول لها ما يجب وما لا يجب أن تفعل، لمجرد أنها وثقت به وقالت له ما تأمل به تجاه المنزل.

وسارت نحو النافذة: أفضل شيء تفعله أن تعود إلى لندن كما قال. فهي الآن تعرف أنه سيعنى بالمنزل، لذا تستطيع تأخير خططها إلى الربيع، حيث سيكون من الأسهل إقناع خطيبها مايك بفضائل المكان، إضافة إلى أن بإمكان مايكل أن يأتي معها في المرة القادمة.

وبدأت تفكر بالعمل بسرعة، الناشر يريدها أن تعود في نهاية الأسبوع، والرسومات تقريباً جاهزة، ويمكن تأخيرها يومين بعد، وحسب عدد الغرف في المنزل، فإن اسبوعاً يكفي لتنظيفها، ومايكل ممكن أن يتحمل فكرة تأخيرها، إضافة إلى أنه مشغول، وما من شك أن ليس لديه الوقت ليفتقدها.

وهبطت إلى الطابق الأسفل، وقرعت جرس الاستعلامات، وخرجت الفتاة من غرفتها خلف الطاولة وابتسمت عندما شاهدتها:

ـ هل ستطلبين فاتورتك؟

ـ لا.. بل أردت إعلامك أنني سابقى لأسبوع آخر.

ونظرت الفتاة إليها بدهشة «أسبوع آنسة ڤيرسون؟ ولكن سيارتك وصلت لتوها وهي في الخارج! وفهمت من جان أنك ستغادرين عند الصباح!

ـ حسناً! أخشى أن يكون السيد باتلي مخطئاً، لقد قررت البقاء!

وبدت الفتاة حائرة، وقالت «إذاً، يجب أن أسأل جان إذا كان ذلك مناسباً».

وتنفست مارلين عميقاً وقالت «أجل... أجل.. افعلي هذا. وبالمناسبة، تستطيعين إخباره، أنه إذا وجد من المستحيل أن يسمح لي بالإقامة هنا.. فسأقيم في الصومعة!...

٤ ـ أعداء حتى...

ذلك المساء، ارتدت مارلين ثيابها بعناية لأجل العشاء. ولسبب ما أرادت أن تظهر لجان باتلي أن تعتمده إثارتها لم يزعجها أبداً. وصممت على أن تظهر عدم مبالاتها به عندما تراه ثانية.

ونزلت نحو الطابق الأسفل، وهي راضية عن مظهرها، لتستقبلها نظرات الإعجاب، ووقف آلان ماكدويل من مقعده قرب النار وقال لها:

ـ لقد أخبرتنا هيلين أنك قررت البقاء معنا لبضعة أيام.

ـ هيلين، أوه، هل هذا اسم فتاة الاستعلامات؟ نعم.. سأبقى لحوالي.. أسبوع آخر.

وسألتها اليزابت سوليڤان باهتمام:

ـ وما الذي جعلك تغيرين رأيك؟ لقد قال السيد باتلي إنك لن تبقي لأكثر من يومين أو ثلاثة.

ـ أعتقد أنني أحببت المكان.. هل لا يزال الثلج يتساقط؟

ولم تكن السماء تثلج، بل كانت صافية ومشعة للمرة الأولى منذ أن

www.elromancia.com

وصلت، ولكن السؤال غيّر موضوع الحديث بنجاح، وأخذوا يتحدثون عن احتمالات الطقس، ونسوا السؤال عن الأسباب التي دعت مارلين إلى البقاء.

بعد انتهاء العشاء، قررت أن تدخل إلى المقهى لتتناول شراباً. وابتسمت للساقي الشاب وهي تقترب لتجلس على مقعد مرتفع عند الطاولة. واستدار الشاب ليحضر لها الشراب وهو يقول:

ـ أنت الآنسة ڤيرسون، أليس كذلك؟

ـ أجل.. ومن أنت؟

ـ أنا جيفري باتلي.. شقيق جان.

ـ اوه.. لم أعرف بأن له شقيق...

ـ وكيف لك أن تعرفي.. لقد حضرتي إلى هنا بالأمس فقط..

ـ وهل يعجبك العمل في الفندق؟

ـ لا بأس به. إنه عمل إضافي لجزء من وقتي، فأنا أدرس في جامعة غلاسكو وبما أنني في إجازة، أساعدهم قليلاً. الفندق شأن عائلي لنا، أعتقد أنك قابلتي شقيقتي أيضاً.

ـ شقيقتك؟

ـ نعم.. هيلين، فتاة الاستعلامات.

ـ اوه! أجل طبعاً قابلتها.

ـ نحن نتقاسم العمل. الفندق الآن لجان بالطبع فهو الابن الأكبر..

ـ الابن الأكبر!..

ودخل جان باتلي المقهى وتقدم ليقف إلى جانبها!

ـ مساء الخير آنسة ڤيرسون.. لقد فهمت أنك تركتي لي رسالة مع هيلين.

وحدّقت به، وكل مشاعرها تدعوها للابتعاد عنه، وصممت على تحدي ثقته بنفسه بنفس طريقته، ولكن مجرد النظر إليه جعل الدم يتصاعد إلى وجهها، مثيراً شعوراً بعدم الراحة في داخلها. وتابع كلامه:

ـ لقد أخبرتني هيلين أنك قررت البقاء للاسبوع القادم.

ـ هذا صحيح، وأتمنى أن لا يتعارض هذا مع خططك.

وجلس على كرسي بجانبها، وضاقت عيناه، وقال:

ـ ما هي هذه الخطط التي عندي؟

واستدارت إليه بغضب وقالت:

ـ ماذا تنتظر بالضبط سيد باتلي؟.. لقد قلت لك ما قلته لهيلين.. أهناك شيء آخر تود سماعه؟

ـ اعتقدت أننا سنتحدث معاً.

ـ حول ماذا؟

ـ علاقتنا، ربما، أو عن الصومعة؟

ـ لم تكن راغباً في الحديث عنه سابقاً، فلماذا قررت فجأة أن تتحدث الآن؟

ـ ربما لأنني بدأت أدرك كم انت مصممة على رأيك، آنسة ڤيرسون...

واستدار بمقعده نحو الطاولة ووضع يده عليها وتابع:

ـ حسناً.. ما قولك؟

وعضت مارلين على شفتها، فقد أصبحت محتارة بين رغبتها في الابتعاد عن هذا الرجل قدر المستطاع وبين رغبتها في ان تجعله يتفهم مشاعرها نحو الصومعة. فلا يجب أن يكونا عدوين، دون سبب يدفع إلى هذا. وأخيراً قالت:

ـ حسن جداً، لنتكلم عن الصومعة، فقد نتوصل إلى تسوية ما.

وترك باتلي مقعده قائلاً:

ـ ليس هنا، فانا أفضّل مناقشة اموري، على انفراد.

ـ اوه... ولكن، لا أعتقد...

ـ هيا آنسة ڤيرسون لا أعتقد أنك خائفة من الجلوس معي على انفراد!

ـ ولكنني تعبة سيد باتلي، ربما علينا أن نؤجل حديثنا إلى ما بعد...

ـ هل انت خائفة مني؟ آنسة ڤيرسون؟

ـ بالطبع لا..

ـ جيد!.. إذاً هيا بنا..

واشار إليها لتسير أمامه، وخرجا إلى الردهة، والتفتت إليه وقالت «إلى أين تأخذني؟» واستدار خلف طاولة الاستعلامات ومد يده وفتح باب الغرفة التي وراءها:

ـ إلى هنا آنسة ڤيرسون، هل ترغبين بالدخول؟

وانتظرها حتى استدارت حول الطاولة وسبقته إلى الغرفة، التي لم يكن يضيئها سوى نار المدفأة. وأقفل الباب وراءه واضاء النور. ووقفت في منتصف الغرفة، شاعرة بدفء الحطب المشتعل، وقال لها وهو يشير إلى كرسي مريح «اجلسي» وترددت قليلاً ثم جلست حيث أشار. فقال لها:

ـ اخبريني... ما هو الثمن الذي تعتقدين أن الصومعة تستحقه؟

ـ لا أعرف، لم أفكر بالأمر.

ـ تسعة آلاف.

ـ ربما، مع أنني أعتقد أن هذا السعر سخي جداً. أعتقد ربما ثمانية آلاف.

ـ ثمانية آلاف، هه... إذاً لو عرض عليك أحد... لنقل عشرة آلاف؟ فهل تعتبرين هذا عرضاً سخياً؟

ـ لن يعرض أحد عشرة آلاف للصومعة!

ـ أنا أعرض...

ـ ماذا؟ لا يمكن أن تكون جاداً.

ـ اوه.. ولكنني جاد. لهذا دعوتك إلى هنا، أردت أن أقدّم عرضي.

ولم تصدق ما سمعت، فهو يعرض عليها ثمناً لمنزل لا يساوي نصف القيمة!

ـ ولكن لماذا ترغب بالصومعة؟ أعني.. لا بد أن هناك منازل أخرى في هذه النواحي تستطيع شراءها.. فلماذا ترغب بالصومعة بالذات؟

ـ لدي أسبابي، فهو يلائمني، وهو المنزل الوحيد في الجوار بمثل هذا الحجم.. على الأقل هو الوحيد الفارغ!

ـ أنت تعقّد الأمر عليّ سيد باتلي.

ـ لماذا؟

ـ لأنني لا أرغب ببيعه.

ـ اوه.. بحق الله.. لماذا؟ بعشرة آلاف تستطيعين شراء منزل ريفي قرب لندن، يناسبك أكثر من الصومعة.

ـ انت لم تفهمني سيد باتلي. لقد أحببت المنزل، وأحببت المنطقة. وقلت لك.. لا أحب السكن قرب لندن.

ـ أنت مجنونة! ماذا يمكن ان تعني لك الصومعة؟

ـ إنها تعني لي بيت يخصّني للمرة الأولى في حياتي!

ـ ولكن أي منزل آخر قد يعني لك نفس الشيء! لم يمض عليك

وقت طويل هنا لتشعري بالتعلق به! لو قلت لك إن هذا ليس الصومعة وعرّفتك على مبنى جديد، فلن تلاحظي الفرق!.

- بل سألاحظ.. انظر.. لديك عائلة حولك، أخ وأخت، وأنا ليس لي أحد ابواي ماتا عندما كنت طفلة! بالنسبة لي الصومعة تعني علاقة مع الماضي، مع أمي.. على الأقل كان ملكاً لقريب لي، مهما كان بعيداً!

- هذا تصرف عاطفي! لم أسمع بهكذا سخافة طوال حياتي! وهل تتصورين أن خطيبك سيوافق على رغبتك في منزل جبلي يبعد أميالاً عن أي نوع من الحضارة؟

- قد لا يكون مايك مستعد للعيش هنا. وأنا أتوقع هذا، ولكن هذا لا يعني أنه يجب أن أبيع المنزل. نستطيع استخدامه في العطلات.

- ويبقى باقي السنة فارغاً؟

- نعم.. وهذا ما أردت أن أتكلم معك حوله. كنت سأقترح اتفاقاً قد نتشارك معاً في...

- اوه وفري عليّ هذا أرجوك! لا أريد اتفاقاً معك. أريد امتلاك الصومعة، وبحق الله سأمتلكها!

وبساقين مرتجفتين تجاوزته مارلين نحو الباب، الذي يقود الى ردهة الاستعلامات، كان الجو هناك أبرد، ولكنها لم تلاحظ، فوجهها كان متوقد وكذلك باقي جسدها. كيف تصورت أنها قد تتفاهم مع هذا الرجل! لا يمكن التعامل معه! إنه بغيض! وتوجهت نحو غرفتها، وغرقت في السرير وهي تشعر بالضعف.

في الصباح التالي، بدا كل شيء مشرقاً. الثلج لم يعد ينهمر، الهواء لاذع وبارد. وبعد تناول الإفطار، ارتدت ثياباً دافئة، وخرجت لتتفحص سيارتها، وتتأكد من صلاحية المحرك وحاولت تشغيلها دون

جدوى، وظهر جيفري باتلي خارجاً من الفندق، فخرجت من السيارة وقالت «هل تعرف شيئاً عن المحركات؟» فتقدم نحوها وقال: «هل هناك مشكلة؟» وردت: «تستطيع قول هذا» فقال «افتحي الغطاء، سألقي نظرة».

وعادت إلى السيارة وفتحت الغطاء، فرفعه جيفري، وحدق في المحرك، بينما وقفت تضرب الارض بقدميها لإبقائهما دافئين، منتظرة، وأخيراً قال: «أسلاك الكهرباء مبللة، لقد قال جان إن السيارة كانت متوقفة تحت الثلج.. هل هذا صحيح؟».

- أجل...

- حسناً الرطوبة أثّرت على المحرك، عليك الانتظار حتى تجفف الشمس الرطوبة. ربما غداً ستكون على ما يرام. ولكن اذا استمريت في محاولة تشغيل المحرك فستتعطل البطارية.

- شكراً لك..

وأغلقت الغطاء ووقفت تعض شفتها بعصبية.

- ما بالك؟ هل اردت استخدامها؟

- بالطبع.. أردت الذهاب إلى القرية..

- حسناً.. لا تنظري إليّ.. فليس لديّ وسيلة نقل.

- أليس عندك؟. ألا تقود سيارة؟

- اوه.. طبعاً أقود سيارة.. ولكن إذا كنت تفكرين بأن أستعير اللاندروفر.. فلا تفكري بهذا! فلن يسمح لي جان باستخدامها.

- فهمت.. وهل تعتقد أنه سيعيرها لي؟

- لا أحد يستعير منه السيارة... ما عليك سوى السير، إنها ليست بعيدة...

- ليست المسافة التي تهمني، إنها الاشياء التي سأشتريها. فهي ثقيلة ولن أستطيع حملها هذه المسافة.

ـ وماذا تريدين أن تشتري؟
ـ حسناً، بعض الدهان.. وأدوات التنظيف.
ـ دهان، وأدوات تنظيف؟
وفي تلك اللحظة شاهدت سيارة جنيفر كارينغ تتقدم في طريقها إلى الفندق، وأوقفت جينيفر السيارة قربهما وخرجت وهي تبتسم..
ـ مرحباً.. تبدوان حزينين! ما الأمر؟
وابتسمت لها مارلين «سيارتي لم تدر، ويقول السيد باتلي إن الأسلاك مبللة».
ـ ربما أستطيع مساعدتك.. أين تنوين الذهاب؟
ـ هذا لطف كبير منك آنسة كارينغ، ولكنني أرغب في شراء بعض الأشياء من القرية.. هذا كل شيء.
ـ لا بأس.. اصعدي! سآخذك أنا!
وصاح جيفري «هاي.. وماذا بشأني أنا!».
ـ إنها سيارة بمقعدين فقط يا جفيري، وأنت لم تكن ترغب في الذهاب إلى القرية...
ـ أجل.. هذا صحيح.
ـ هكذا إذاً! سنعود حالاً. اذهب واطلب من جوسي أن تصنع لك فنجان قهوة.. ستكون مسرورة بذلك.
وصعدت إلى السيارة وصعدت مارلين قربها، بعد أن نظرت إلى جيفري بكآبة، وتحركت بهما السيارة بينما كانت مارلين تفكر بشيء تقوله، إلا أن جينيفر سبقتها، وسألت:
ـ هل ستشترين أشياء كثيرة من القرية؟ يجب أن أنبهك أنه لا يوجد محلات في القرية ما عدا المخزن العام ومركز البريد.
ـ في الواقع المخزن العام يناسبني.. أريد فقط بعض مواد التنظيف والممامسح وأشياء أخرى مماثلة، وبعض الدهان!

ـ اعذري تطفلي.. ولكن هل هذه لأجل الصومعة؟
ـ أجل.
ـ هذا جيد..
ـ ألا تمانعين؟ أعني.. أنني اعتقدت..
ـ اعتقدتي لأن جان يرغب في الصومعة قد أغضب لأنك تنوين تحسين مظهر المنزل.. أليس كذلك؟ أنت مخطئة.. أردت تنظيف المكان عدة مرات، ولكن جان لم يسمح لي.. وأظن أنها فكرة رائعة.
ـ اشكر الله على هذا! لقد شعرت بالإحراج لعرضك توصيلي.
ـ لا تكوني سخيفة. انا مسرورة لمساعدتك. أعتقد أن سيارتك ستعمل غداً.. هل قررت كم ستبقين هنا؟
ـ في الواقع آمل أن أبقى إلى أن تصبح الصومعة صالحة للسكن، ربما أسبوع...
وكانتا تقتربان من القرية الآن، ولاحظت مارلين أنها صغيرة فعلاً. هناك شارع رئيسي، على جوانبه منازل صغيرة ومدرسة صغيرة، وكنيسة وحانوتين ذكرتهما جينيفر، وأشارت جينيفر إلى منزلها قائلة:
ـ يجب ان تزورينا في الصيف. نستطيع عندها أن نسبح معاً ونتزلج على الماء في البحيرة، وجان يملك زورقاً صغيراً.
المرأة التي تدير المخزن الرئيسي كانت مفيدة لها. ومع أنها كانت فضولية لتعرف من هي مارلين ولماذا تريد مثل هذه الأشياء، إلا أن وجود جينيفر، منعها من السؤال.
وحملت الفتاتان عدة أكياس وعادتا إلى السيارة. وضحكت مارلين وقالت «لا أعلم كيف كنت سأتدبر أمري دون مساعدتك.. شكراً لك مرة أخرى» وهزت جينيفر رأسها «هذا أمر غير مهم! في الواقع أنا

مسرورة لأن السيدة ماكفرسون لم تجد ما تتحدث به. كادت تموت لتعرف لماذا، وأنت زائرة هنا، تريدين شراء مواد التنظيف سوف تنشر الخبر في كل القرية أن فندق جان بحالة يرثى لها حتى أن الزوار اضطروا لتنظيف غرفهم بنفسهم!».

ـ اوه.. لا يمكن ان تكوني جادة!

ـ ربما، لا...، ها قد وصلنا، ارمي كل شيء في المقعد الخلفي، نستطيع تفريغها في المنزل.

ـ المنزل؟

ـ طبعاً، من الأفضل وضع هذه الاشياء في الصومعة. وهل تريدين حملها بنفسك؟

ـ لا... ولكن ألا يمانع السيد باتلي بمساعدتك لي؟

ـ واذا مانع! إنه ليس حارسي..

وأحبت مارلين أن تسألها ما هي بالضبط علاقتهما، ولكن تصرفات جينيفر منعتها، وفكرت بالمتعة التي ستشعر بها عند تنظيفها المنزل القديم كانت البوابة مفتوحة.. وأدخلت جينيفر السيارة عبر الممر لتقف أمام الباب الداخلي. وسألتها:

ـ هل لديك المفاتيح؟

ـ المفاتيح؟ اوه.. أجل.. ها هي.. هل تعرفين أي منها يفتح الباب الأمامي؟

ـ دعيني أجرب...

وخرجت جينيفر من سيارتها وأخذت المفاتيح، وتبعتها مارلين، ووجدت جينيفر المفتاح المناسب، وفتحت الباب الذي أصدر صريراً. وقالت جينيفر وهي تستدير لتساعدها:

ـ إنه مزعج أليس كذلك؟ انجلو العجوز لم يصرف عليه قرش واحد إلا في الضروريات. لو تداعى المنزل أمام عينيه لما أزعج نفسه

باحضار احد لتنظيفه. على كل لقد كان ملازماً الفراش في السنتين الأخيرتين ولا يمكن لومه كثيراً.

ـ هكذا اذاً؟ تابعي كلامك، اخبريني عنه، لا أعرف عنه سوى القليل.

وبينما هما تفرغان السيارة، وتحملان الأغراض لتضعاها على طاولة المطبخ، استمرت جينيفر بالحديث عن ابن عم والدة مارلين. وشرحت لها أنه ولد في الصومعة وعاش كل حياته فيها، ما عدا فترة الحرب العالمية الثانية عندما انضم إلى البحرية.

ـ لقد كان في البحرية، وكل الدلائل تشير إلى أنه كان فاتناً، والذي يقول إن مظهره بالبذلة الرسمية كان رائعاً. أعتقد أنه كان كذلك.. حقاً..

وتوقفت عن الكلام، ونظرت اليها مارلين بفضول وسألتها:

ـ لماذا قلت هذا؟

وهزت جينيفر كتفيها، وزمت شفتيها وقالت:

ـ اوه... لا شيء... هل هذا كل ما اشتريناه؟

ـ اجل.. لقد أدخلت لتوي آخرها.

ونظرت جينيفر إلى سقف المطبخ بأسف وقالت:

ـ أية غرفة ستبدأين بها؟

ـ فكرت أن أبدأ هنا، يبدو ان هذا منطقي أكثر. اعتقد ان خبيراً قد يقول إن عليّ أن أبدأ من فوق إلى أسفل. ولكنني أرغب في إنهاء المطبخ أولاً لأشغّل التدفئة. هل تعرفين كيف يعمل هذا الفرن؟

ـ اوه.. نعم.. لقد كان عندنا مثله منذ سنوات، أعتقد أنني أستطيع اشعاله..

ثم صاحت، وكأنما طرأت لها فكرة:

ـ انظري.. أترغبين في أن أساعدك؟ أعني.. زوجين من الأيدي

أسرع من زوج واحد، وأستطيع عمل ما ليس لديك وقت لعمله.

وحدقت بها مارلين وصاحت:

ـ يا للسماء، ولكن اهلك، أو باتلي، لن يسمحوا لك بمساعدتي هنا! سيكون العمل يدوياً فقط!

وضحكت جينفر «لست خائفة من العمل، فأنا مثلك، سأكون راضية عن نفسي بجعل هذا المكان جذاباً مرة ثانية».

ومدت مارلين يديها وقالت «ولكن.. ولكن» فابتسمت جينفر وقاطعتها «ولكن.. لا شيء! اتريدين أن أساعدك أم لا؟».

ـ طبعاً أريد، سأكون مسرورة برفقتك أكثر من أي شيء آخر. إن المكان هنا موحش، ومخيف.

ـ حسن جداً إذاً. اتركي جان واهلي لي.. سأقنعهم. الساعة الآن الحادية عشر.. لماذا لا نبدأ الآن؟ وبالمناسبة اسمي جينفر وأعرف اسمك مارلين، الاسماء الأخيرة مزعجة أليس كذلك؟

ـ لا أعرف ماذا أقول.

ـ إذاً لا تقولي شيئاً.. ابداي العمل فقط!

وأدهشها ما استطاعتا إنجازه في وقت قصير. فبينما نظفت جينفر الفرن، فتشت هي في الخزائن وأخرجت عدة دلاء غسلتها لاستخدامها. ثم خلعت ثيابها الخارجية، وجرت طاولة المطبخ إلى زاوية، وأخذت تنظف السقف بسائل التنظيف. كانت المهمة صعبة، تتطلب استمرار رفع يديها إلى الأعلى ثم أخذت تنظف جدران الفرن الخارجية، قالت لها جينفر وهي تمسح يديها المتوسختين بخرقة قديمة:

ـ أعتقد أنني حصلت على العمل الهين، هل أساعدك، أم أشعل الفرن؟

ـ أستطيع تدبير أمري.. وإذا وجدت ما تشعلين به السخان سأكون شاكرة، فالبرد قارس هنا.

ـ لا اعلم من اين سآتي بخشب جاف. فأي حطب هنا لا بد أنه رطب. أظن من الأفضل أن أعود إلى القرية لأجلب بعض الحطب الجاف.

ـ ما هذا الإزعاج! لم أفكر بالأمر.

ـ لا بأس. سأنشف يداي ثم أذهب.

وعندما عادت جينفر، أسرعت مارلين لاستقبالها، وعندما فتحت الباب علمت فوراً أن شيئاً ما قد حدث فقالت بقلق:

ـ ما الأمر؟..

وظهر طيف وراء جينفر، وقبل أن تميّز وجهه في الظلام، علمت من هو، وشعرت بقلبها يغوص حتى معدتها. وحدقت بها جينفر بيأس.

ـ جان كان يبحث عني.. لقد التقينا في القرية.

ـ أرى هذا.. مرحباً سيد باتلي، هل أتيت لترى كيف نعمل؟

ـ لست مهتماً بما تفعلينه آنسة ڤيرسون، بل مهتم فقط بالطريقة التي ورطتي بها جينفر...

وامسكت جينفر بذراعه وقالت «جان.. لقد شرحت لك..».

ـ اتركي هذا الأمر لي يا جينفر! حسناً، آنسة ڤيرسون؟ أنت تعرفين أنني أعارض محاولتك إصلاح المنزل، ففكرت لو أنك أشركت جينفر معك فقد تتاح لك فرصة أن تكون وسيطة لك. أليس كذلك؟

وصاحت به مارلين بغضب:

ـ لا أحتاج إلى وسيط سيد باتلي! الصومعة ملكي، وإذا رغبت في اصلاحها، فلن أحتاج إلى موافقتك!

ـ أحذرك.. آنسة ڤيرسون!

وتدخلت جينفر بينهما قائلة:

ـ أرجوك يا جان! هذا أمر سخيف! إذا كنت قلقاً عليّ فقل ما تريد، ولا تستخدم أسباباً أخرى...

ـ بالطبع أنا قلق عليك! وكيف لا أكون؟ أنا لا أهتم بما تفعله الآنسة ڤيرسون!

ـ لا تكن سخيفاً يا حبيبي! فالمنزل سيستفيد من أي شيء تفعله الآنسة ڤيرسون.. هل أشعل الفرن الآن وينتهي الأمر؟

ـ لا!...

وبدا على جنيفر الامتعاض ولكنها قبلت بما قاله، وابتسمت قائلة:

ـ أنا آسفة يا مارلين.. لقد أردت فعلاً أن أساعدك.

ـ لا بأس يا جينفر.. أفهم موقفك تماماً.

وقال جان باتلي بخشونة:

ـ أشك في أنك تفهمين..

ودفع جينفر أمامه وغادرا المنزل، وصفق الباب القديم وراءه بقوة.

☆ ☆ ☆

٥ ـ ابتعدي عن طريقي!

وجدت مارلين صعوبة في متابعة عملها بعد أن غادرا. فبعيداً عن أي شيء آخر كانت تشعر بالبرد. وفجأة بدا لها كل شيء تافهاً، فرمت الممسحة، وارتدت معطفها المصنوع من جلد الخروف. قبل أن تفعل أي شيء يجب أن تشعل السخان، ولن يوقفها شيء عن تنفيذ ما صممت عليه.

ولكن القول أسهل من العمل. لم تكن تعرف ما إذا كانت جينفر قد اشترت حطباً جافاً أم لا، فما تعرفه انها لم تأتي بشيء منه إلى المنزل، لذلك ليس لديها شيء تشعل به النار. وغادرت المنزل بسرعة متجهة نحو القرية وما كان سهلاً قطعه في السيارة أصبح بعيداً وصعباً عندما قطعته سيراً على الأقدام.

وحدقت بها المرأة في المخزن بغرابة عندما طلبت خشباً جافاً وولاعة.

ـ الآنسة.. كارينغ كانت هنا واشترت نفس الاشياء، وفهمت أنها لك.

وابتسمت مارلين قائلة «أحتاج للمزيد.. أهناك مانع؟».

www.elromancia.com

وهزت المرأة كتفيها واستدارت وأحضرت كيساً من مشعلات النار وقالت «تفضلي.. ها هي» ودفعت مارلين ثمنها وقالت «شكراً» ثم استدارت وغادرت المحل، وسارت صعوداً نحو المنزل. كانت ما تزال محتارة بسبب معارضة جان باتلي لمساعدة جينفر لها، ولكن منظر وجهه الغاضب كان لا ينسى بسهولة. ما هي علاقته بها؟ هل يحبها؟ لقد تصرّف هكذا بالفعل. ولو أنه يحبها فهل كان ينوي أن يسكنها الصومعة كعروس له؟

وعبرت البوابة متوجهة إلى المنزل. ولكن ما إن فعلت حتى اشتمت رائحة دخان.. واتسعت عيناها ونظرت نحو سطح المنزل لترى دخاناً يخرج من إحدى المداخن، وشعرت بالسعادة، وأخذت تركض نحو الباب، ودخلت الردهة وهي تنادي:

- جيني! جيني.. لقد عدت!

ولكنها وجدت المنزل فارغاً. في غيابها حضر أحد ما وأشعل النار في الفرن، وحدقت في النار المشتعلة، ثم هزّت رأسها، ووضعت الكيس الذي تحمله، واستندت الى الطاولة. ثم خلعت معطفها وتناولت القماش الذي كانت تستخدمه، وعادت لتنظيف السقف.

وأعلمتها ساعتها أن وقت الغداء قد حان. فنزلت عن الطاولة ونظّفت يديها، وفتحت باب السخان لترى أن النار قد خبت وبحاجة إلى وقود. خزان الوقود كان قرب الباب الخلفي، وأعادت تغذية النار في السخان، ثم اقفلت الباب الخلفي جيداً، وسارت نحو المدخل الامامي لتخرج منه.

وما إن بلغت الباب الأمامي حتى ظهر طيف رجل خلفه، ولم تستطع منع شهقة الدهشة التي خرجت منها، لم تكن تستطيع تخيل من يكون، إلا إذا كان جف قد اتى ليبحث عنها. وجمعت شجاعتها، وخطت إلى الأمام، ولكن مقبض الباب، تحرك وفُتح الباب،

فتراجعت الى الخلف ثم غمرها شعور بالراحة عندما تعرفت على زائرها.

ووقف جان باتلي عند الباب يراقبها، ثم قال:

- يبدو عليك الشحوب آنسة ڤيرسون. كنت أعتقد أن العمل في حرارة تحت الصفر سيكون مفيداً لك، ولكنني تذكرت أنك قلتي بأنك معتادة على الترف.

- لم أكن أعمل في حرارة تحت الصفر سيد باتلي، لقد أشعل أحدهم السخان، وأنا شاكرة له هذا.

- وحتى مع هذا سيستغرق الأمر أكثر من نصف يوم ليخرج البرد من هذا القبر الفارغ!

- أوافق معك، لذا فقد وضعت الفحم لما يكفي طوال بعد الظهر.

- وهل تنوين العودة بعد الظهر؟

- ولم لا؟

- هناك ريح باردة تهب من الوادي، والتوقعات سيئة، لو كنت مكانك لبقيت بقية النهار في الفندق.

- ولكنك لست في مكاني سيد باتلي، ومن المستحيل أن يقفل الثلج عليّ الطريق وأنا هنا، على بعد مئة يارد من الفندق! أليس كذلك؟

- كما ترغبين آنسة ڤيرسون.

وتحركت نحو الباب، فتنحى من طريقها تأدباً. وقالت له وهي تمر من أمامه «قل لي، لماذا تركت جينفر تعود لتشعل السخان لي؟».

- وهل تعتقدين أنني فعلت؟

- ماذا تعني؟

- كما قلت بالضبط، ولأكن صريحاً، جينفر لم تشعل النار.

ـ اذاً، إذا لم تكن هي، فمن أشعلها؟

ونظرت إليه ثم ابعدت عينيها فجأة، وبدأت دقات قلبها تتسارع بطريقة مزعجة، وبللت شفتيها بلسانها وقالت:

ـ أنا آسفة، كان يجب أن اخمن بالطبع، أنت من أشعل النار..

ـ وهل فعلت هذا؟ ولماذا أفعل؟ وخاصة بعد مخالفتك لرجائي بأن لا تأتي إلى هنا؟

ـ أنت تداعبني بلا شك.. اعذرني، فموعد الغداء قد حل، وعليّ أن أعود الى الفندق.

واتكأ باتلي على الباب وقال:

ـ ربما يكون انجلو العجوز هو من أشعل النار. هناك من يقسم في القرية أنه شاهد الدخان يتصاعد من المدخنة منذ أن توفي.

وحدقت به بغضب وقالت:

ـ أوه سيد باتلي أنت مصمم على منعي من المجيء إلى هنا، أليس كذلك؟ حسناً سأقول لك شيء.. أنا لا أخاف من الأشياء غير الطبيعية، ولا اؤمن أن النار تشتعل خلافاً للطبيعة. لقد أشعلت أنت النار سيد باتلي، ولا شيء تقوله أو تفعله قد يقنعني بالعكس!

ـ أنا لم أشعل السخان آنسة ڤيرسون، كلمة شرف.

وحدقت به لبرهة، ثم عضت شفتها واستدارت، وسارت بسرعة نحو البوابة، لن تسمح له بأن يزعجها بهذه الطريقة، ولم تستدر حتى بعد أن ناداها باسمها. وأخذت تركض نحو الفندق، ولم تدرك بأنها لم تقفل أبواب الصومعة حتى وضعت الخادمة امامها كومة المفاتيح مع تحيات السيد باتلي.

في الواقع، لم تعد ذلك اليوم إلى الصومعة. فبعد الغداء أحست بألم حاد في رأسها، ربما من أثر رفعها لرأسها بصورة مستمرة وهي تنظف السقف، واضطرت الى الذهاب إلى السرير بدلاً من العودة إلى

المنزل القديم. وبما أنها لم تكن تشعر بالجوع فلم تنزل لتتناول العشاء، وأقبلت الخادمة تسألها إذا كانت تحتاج شيئاً فطلبت فنجان قهوة ثم أخلدت إلى النوم بعد الثامنة بقليل.

في الصباح التالي، وصلت العاصفة المتوقعة. وعندما نزلت من غرفتها لتناول الإفطار، كانت الريح تعصف في الخارج، وأمضت بقية الصباح في الصالون أمام نار هادرة تلعب الورق مع آلان ماكدويل وستانلي، الذي بدا أنه قد خفف من تحفظه تجاهها، أو أنه مثل آلان، يتوق لمعرفة علاقتها بالصومعة.

بعد الغداء آوى المسنان إلى فراشهما، ووقفت مارلين عند النافذة تنظر إلى الخارج، كان الثلج يتساقط، ولكن ليس بكثرة. وقررت أن تذهب إلى الصومعة، وصعدت إلى غرفتها وارتدت ثياباً سميكة، ثم نزلت ثانية. وعندما خرجت التقت بجفري باتلي وقطب جبينه عندما علم أنها تنوي الخروج، وقال:

ـ أكيد أنك لن تخرجي بسيارتك في هذا الطقس!

ـ لا... بل أنا ذاهبة إلى الصومعة. أستطيع السير إلى هناك بسهولة.

ـ أوه.. إلى الصومعة.. هل ترغبين بمرافقتك؟

ـ لا.. الأفضل أن لا تأتي.. فشقيقك لن يعجبه هذا، وهو لا يوافق على عملي هناك، بالأمس عندما شاهد جينفر معي جن جنونه!

ـ اه.. ولكن هذا أمر مختلف.

ـ وكيف يكون مختلفاً؟

ـ حسناً.. ألم تقل لك جينفر أنها قد شفيت مؤخراً من نوبة قوية من داء الخاصرة؟ إنها ليست قوية، وأعتقد أن جان كان قلقاً عليها...

ـ ولكن لماذا لم يقل لي هذا؟ لماذا لم تقل هي لي؟ يا إلهي..
لقد اعتقدت أنها شاحبة بطبيعتها.

ـ حسناً.. كما قلت إنها ليست قوية، وفي الوقت الحاضر يجب أن تعتني بنفسها، أعتقد أن جان غضب كثيراً عندما شاهدها في الصومعة.

ـ تستطيع قول هذا.. لقد اعتقدت أنه.. لئيم..

ـ اعتقد أن من حقك أن تظني هكذا. وأعتقد أنه لم يكن موضوعياً حول كل المسألة منذ أن وصلتي إلى هنا. إنه وضع صعب.

ـ أعلم هذا، ولكنني لست المسؤولة عن هذا الوضع.

ـ ولكنك لا تريدين بيع المنزل، كما أظن.

ـ صحيح.. فأنا لم أمتلك منزلاً من قبل.

ـ فهمت.. وماذا عن عرضي لمساعدتك؟ هل تقبلين؟.

ـ لا.. ليس اليوم يا جفري. شكراً على كل الأحوال. بطريقة ما، ومهما قلت، أعتقد أن جان لن يوافق.!

ـ انا لا أعمل حسب موافقته.

ولكن مارلين ابتسمت له، ولوحت بيدها، وسارت عبر فناء الفندق الخارجي.

وكان الصومعة يقبع تحت غطاء من الثلج، جدرانه الحجرية اكتست بالثلج الذي دفعه الريح اليها، وبدا كئيباً وموحشاً وأكثر عزلة من قبل، بينما كان رذاذ الثلج يصنع سداً بينه وبين العالم الخارجي. وتساءلت في نفسها لماذا تريد التمسك به. فلم يكن السبب سحره أو جماله، وهذا شيء مؤكد، ولكن أن تبيعه، وتغادر المكان، وربما لا تعود ثانية، فهذا صعب عليها أن تفكر به بمضي الأيام. وبرزت أمامها صورة وجه جان باتلي وهي تسير ببطء إلى المدخل. لو باعته الصومعة فستربح عرفانه بالجميل، وستشعر بالرضى لمعرفتها أن الصومعة

أصبحت ملكاً لمن هي من حقه. ولكن أن تتصوره وهو يأتي بزوجته لتعيش فيه لم تكن مقبولة لديها، ولم تستطع إلا أن تفترض أن تصرفاته المتغطرسة هي التي أثارتها لتمنع نفسها من التفكير بالأمر.

ولم يصدمها جو المنزل كما فعل في اليوم السابق، ربما بسبب أن الفرن قد نجح في إبعاد الرطوبة من داخله، وما إن دخلت الى المطبخ حتى وجدت الفرن لا يزال مشتعلاً والدفء موجود.

وتطلعت من حولها باحثة عن دليل عمن يبقي الفرن مشتعلاً، ولكن لم يكن هناك سوى آثار أقدام على الأرض متنقلة جيئة وذهاباً لجلب الوقود. وتنهدت وهزت رأسها ثم خلعت معطفها. من المثير أن يبقى هناك سر لا تعرف حله، وتمنت لو أنها قبلت برفقة جفري.

وبدا لها المطبخ مقبولاً أكثر، وتساءلت إذا كان يجب أن تدهن السقف قبل أي شيء آخر. فقد بدا الآن أنظف والفرن يعمل، ولم تشعر بالرغبة لمغادرة المكان. الصمت من حولها كان مطبقاً، وشعرت بإحساس غريب بالأمان لوجودها قرب الباب الخارجي.

وحضرت الدهان، ثم دفعت الطاولة ثانية نحو الزاوية لتبدأ. ، ون وعي منها كانت ترهف السمع على الدوام، كانت تعلم أن الغ ء قد يريح أعصابها، ولكنها لم ترد أن يسمعها أي إنسان.

كان النور قد بدأ يخبو عندما أنهت عملها ونزلت عن الطاولة ونظرت إلى السقف لترى نتيجة ما فعلت. وسرت لجهودها وقررت ان وجه طلاء آخر فوق الأول سيكون أكثر كمالاً.

ورتّبت اشياءها، ونظفت يديها، وأخذت معطفها. كانت تبتسم لنفسها وهي ترتديه، واستعادت الاشياء المرعبة التي فكرت بها وهي تعمل. ليس هناك شيء خارج عن الطبيعة هنا.

فشخص ما، وهي تشك بجان باتلي، قد أشعل الفرن، ويبقي عليه مشتعلاً. ويجب عليها أن تشعر بالامتنان، لا بالقلق.

وأجفلها صوت مفاجىء، وتسلل شعور بالقلق إلى ذهنها. فالصوت أتى من فوق، وليس هناك أي سبب ليأتي هذا الصوت من هناك. ووقفت في منتصف المطبخ، وعمودها الفقري يرتجف، وأذناها مصغيتين لالتقاط أدنى صوت. هل هي مخطئة؟ هل هذا صوت الماء في الخزان؟ ام أنه صوت طبيعي صادر عن الارضية الخشبية؟

ثم.. سمعت صوت أقدام لا يمكن أن تكون مخطئة بها، تقطع الطابق العلوي، واصطكت ركبتاها من تحتها. أول ما فكرت به أن تجري هاربة من المنزل قبل أن تسمع شيئاً آخر. ولكن شيئاً ما قال لها إن هذا التفكير سخيف ولا فائدة منه. فإذا هربت الآن، لن تعود قادرة على تحمل بقاءها لوحدها أبداً، وعلى كل الأحوال.. الأرواح لا تصدر مثل هذه الأصوات المزعجة.. هل هذا صحيح؟

وحاولت ان تفكر بمنطق. هناك شخص فوق، شخص ليس من حقه أن يكون هناك، فهذا منزلها، ومنزلها لوحدها. وتنفست عميقاً، وفتحت باب المطبخ ودخلت إلى الردهة، وبدا لها السلم أمامها، مظلم وغير واضح المعالم، ونظرت إلى اعلى بقلق. ونادت:

- من.. من هناك؟

ولم يصدر جواب، وابتلعت ريقها بصعوبة، وترددت لتصعد السلم، ووضعت قدمها على أول درجة، ونادت «انزل إلى هنا، كائناً من تكون! إذا لم تنزل سأستدعي البوليس!».

وساد الصمت للحظات، ثم سمعت أصوات اقدام تقطع الممر وظهر طيف أسود عند قمة السلم، كان من الصعب معرفة ما إذا كان رجلاً ام امرأة، وتراجعت خطوة إلى الوراء، وسألت بارتجاف:

- من... من أنت؟

ولكنها لم تتلق رداً. وشهقت، وانهارت اعصابها، فاستدارت وعادت إلى المطبخ، وركضت إلى الباب بفزع. وتذكرت متأخرة أنها

دخلت المنزل من الباب الأمامي وأن الباب الخلفي لا يزال مقفلاً.

واخذت تفتش في جيوبها عن المفاتيح، وسمعت وقع أقدام ثقيلة تنزل السلم وتلفتت من حولها بيأس باحثة عن شيء تدافع به عن نفسها، وبدا على وجهها الذعر، وهي ترفع أحد كراسي المطبخ إلى فوق رأسها عندما فتح باب المطبخ، ورمت الكرسي عبر المطبخ نحو الباب حتى أن الرجل الذي دخل اضطر إلى رفع يديه ليحمي رأسه، وأزاح الكرسي عنه فاصطدمت بالجدار وتحطمت، وصرخت من الغضب عندما شاهدت وجه جان باتلي الساخر.

- أنت!.. أيها الخنزير! أنت...

واخذت علبة مسحوق التنظيف وحاولت أن تقذفها بوجهه، ولكنه استدار حول الطاولة وأمسك بيديها ليلويها خلف ظهرها، وقال:

- هدئي نفسك!

- لن أهدىء نفسي، لقد فعلت هذا عن قصد! لقد أتيت الى هنا متعمداً اخافتي! اوه.. أنت لا تحتمل! لم أظن انك قد تكون دنيئاً..

والتمعت عيناه، وأحست أنها قد تمادت كثيراً، وصاح بها:

- اصمتي!

ولكنها كانت متوترة جداً، ومتألمة ومرتعبة، فلم تعد تعبأ بما تفعل:

- لن أصمت! لن تستطيع تخويفي سيد باتلي! سأقول ما أريد!

وكأنما كان يعرف ما تفكر به، نظر إلى وجهها المتورد، وافلتها بازدراء، ووقفت تفرك رسغيها اللذان كان يمسك بهما بألم. وقال:

- لم آتِ الى هنا بنية إفزاعك، في الواقع ظننت أنك قد غادرت المكان منذ وقت. على كل، أعترف أنني عندما رأيتك عند أسفل السلم، ظانة أنني دخيل لن تستطيعي الدفاع عن نفسك ضده، تركتك غير عالمة بهويتي عن قصد. وأقترح عليك أن تحاولي السيطرة على

انفعالاتك أكثر. عندها قد لا تطلقين العنان لخيالك! على الأقل باتجاهي!

ـ لا أعرف ماذا تعني سيد باتلي!

ـ ألا تعرفين؟ بل أعتقد أنك تعرفين آنسة ڤيرسون. أنت لست من النساء اللواتي لا يدركن مدى سحرهن، ولكن حسب علمي الخطوبة تضع نوعاً من القيود...

ـ إلى ماذا تلمح بالضبط؟

ـ وهل كنت ألمح؟ اعتقدت أنني واضح بكلامي! أنت تحبين أن تسمعي كلمات الإعجاب من الرجال، آنسة ڤيرسون، وأنت الآن تعتقدين أنك تثيرين إعجابي.

ـ كيف.. كيف تجروء؟

ـ الرجل يتجرأ بقدر ما تسمح له المرأة! وأعتقد أن املك قد خاب عندما لم يحدث معي شيء.

ـ أنا.. لا أعرف كيف تملك الجرأة لان تقف وتقول مثل هذا! انت تخدع نفسك إذا اعتقدت أن مثل هذه الفكرة قد خطرت ببالي!

وتوقفت عن الكلام فجأة، بعد أن أمسك ذراعيها بقوة وجذبها بخشونة نحوه. وأخذت عيناه تقدحان شرراً وهو يحدق بعينيها بغضب، مما جعلها ترتعد. كان يؤلمها، وضغط عضلاته عليها أجبرها على الالتصاق به محاولة جهدها أن لا تنهار.

ثم فجأة، وكانما عاد إلى وعيه أبعدها عنه بوحشية وصرخ بها:

ـ أيتها العاهرة! أنت لا تهتمين بمن تؤلمينه. أليس كذلك؟

وترنحت مارلين وأمسكت بالطاولة كي لا تقع وتمتمت:

ـ وهل تهتم أنت!

ومرر يده على شعرها وقال «لا، للحظات تركتك تظنين ما تريدينه

ولكن! ليس أكثر!».

وزرر معطفه من حوله وقال:

ـ ابتعدي عن طريقي آنسة ڤيرسون، وإلا لن أكون مسؤولاً عما سأفعله في المرة القادمة!

واستدار وغادر المنزل.

☆ ☆ ☆

www.elromancia.com

٦ - العودة

كان من الصعب على مارلين ان تجمع شجاعتها لتنزل من غرفتها لتناول العشاء تلك الليلة، ومع أنها تعلم أن لا سبب أبداً يمنعها من لقاء جان باتلي. الا أنها كانت تخاف من رؤية النظرات الباردة في عينيه. ومهما حاولت إقناع نفسها بأن ما حدث هو غلطة منه بقدر ما هو منها، إلا أنها كانت تصطدم بحائط من شكوكها. لماذا أهانته بهذه الطريقة؟ لماذا شعرت بكل هذه المشاعر تجاهه؟ والأسوأ من كل هذا، لماذا سمحت لنفسها ان تتجاوب مع هذا التهجم الوحشي منه عليها؟.

في البدء لم تستطع أن تصدق أن هذا قد حدث. ولكن، وهي في غرفتها، كان عليها أن تقبل بالواقع. وحتى الآن، وهي تجلس في غرفة الطعام تتطلع إلى وجبة طعامها، كانت لا تزال تشعر بضغط جسده عليها، وتشعر ثانية، بالانفعالات التي لم تعرف لها سبباً.

وازاحت صحنها جانباً، ودخلت الخادمة لتقول لها:

- هناك اتصال هاتفي لك آنسة ڤيرسون.. من لندن.

لندن!... ونظرت اليها مارلين بذهول وسألتها:

www.elromancia.com

- وأين أستطيع استلام المخابرة؟
- في غرفة الهاتف في الردهة يا آنسة. هل تعرفين أين؟
- اوه.. اجل..

ووقفت، وذهنها مشوش، لا بد أنه مايكل، ولكن لماذا يتصل بها؟ وخاصة هذه الليلة وهي غير مستعدة لاستلام المخابرة. وهبطت السلم نحو الردهة ودخلت غرفة الهاتف:

- مارلين!.. مارلين؟ أهذا أنتِ؟
- مايكل!.. ما الأمر؟
- لا تخافي يا مارلين.. لم أمت بعد.. ولكنني مصاب بانفلونزا وأشعر بالتعب. هل هناك أمل أن تحضري في القريب العاجل؟
- اوه.. مايكل.. كيف التقطت الانفلونزا بحق السماء. هل كنت تعمل حتى وقت متأخر؟ ام أنك كنت تهمل نفسك؟

وسعل بقوة وقال «أعتقد أنني أجهدت نفسي بالعمل.. ماديسون غائب منذ ثلاثة ايام بسبب الرشح والروماتيزم، وكنت أحاول أن أكمل العمل بنفسي.. ولكنني لم أنجح».

- اوه يا مايكل! أنت تعرف أن عليك الانتباه عندما يكون الطقس سيئاً.. لماذا لا تعمل ما تستطيعه وتترك الباقي؟
- حسناً، عليّ أن افعل هذا الآن، والدتي تسليني الآن، لقد أتت إلى شقتي ولم تغادر منذ الأمس، ولكنها لا تستطيع ترك والدي لوحده كثيراً، وتسأل ما إذا كنت ستعودين قريباً.
- آه.. لقد فهمت.
- تظن أنها ستتركني بين يدين امينتين لو كنتي هنا، لقد توقعت ان أجدك عائدة إلى هنا في هذا الوقت!
- آه.. صحيح.. ولكن الأمر ليس بهذه السهولة.
- وماذا تعنين؟

- لم أتمكن من القيام بكل ما أرغب به بعد. متى ستتركك أمك؟
- غداً.. أعتقد. مارلين لو أن مرضي سيتعارض مع خططك انسي الأمر. سأتمكن من تدبير نفسي لوحدي قدر المستطاع.
- اوه مايكل.. لا تأخذ كل ما أقوله بحرفيته! أنا.. أنا لم أنهي كل التفاصيل، ولكن هذا لا يعني أنني لن أعود فوراً، إذا كنت محتاجاً لي...
- بالطبع أحتاجك، ولكن هذا لا يعني أن تعودي راكضة. سأستطيع تدبير نفسي...
- اوه مايكل.. أرجوك.. سأعود غداً، أو على الأقل سأبدأ العودة غداً. وقد أصل بعد غد.
- حسناً اذا كان هذا لا يزعجك.
- بالطبع لا يزعجني.. في الواقع.. أظن أن عليّ تأجيل ما يجب ان افعله لبعد عيد الميلاد.
- أوافق معك.. لقد اشتقت اليك كثيراً يا مارلين.

عندما دخلت غرفة الطعام، نظر إليها آلان ماكدويل متفحصاً.

- أرجو أن لا تكون أخباراً سيئة؟
- ليس بالضبط، ولكن عليّ أن أعود، وفوراً.

وصدرت أصوات تعاطف معها، واضطرت لشرح سبب مغادرتها المفاجئة. وغادرت غرفة الطعام نحو مكتب الاستعلامات، وكانت شقيقة جان باتلي هيلين تجلس خلف الطاولة، وأبدت دهشتها عندما قالت لها مارلين:

- أحب أن تحضري لي الفاتورة من فضلك!
- هل ستتركينا آنسة ڤيرسون؟
- أجل.. أتساءل إذا كان بإمكانك الاتصال بالكراج لإرسال

ميكانيكي ليتفحص سيارتي قبل أن أذهب.. أعلم أن الوقت ضيق، ولكن هناك أمر طارىء بالنسبة لي.

ـ آه.. فهمت. أعتقد أنني سأتدبر الأمر، وهل ستغادرين قبل موعد الغداء آنسة ڤيرسون.

ـ أتمنى ذلك.

ـ حسن جداً.. سأتدبر أن تكون الفاتورة جاهزة عند الإفطار.

وابتسمت لها مارلين شاكرة، واستدارت نحو السلم، عندما دخلت نسمة هواء باردة من الباب، ودخلت جنيفر كريغ إلى الردهة، ونادت:

ـ مارلين! أنت بالضبط من أتيت لأراه.

ـ مرحباً جينفر!

ـ تعالي نشرب شيئاً.. أريد التحدث معك.

ـ كنت أفكر بالذهاب إلى النوم.

ـ ماذا؟ عند الساعة التاسعة؟ إذاً من الأفضل لك أنني وصلت. تعالي!

ودخلتا المقهى، وكما في الليلة السابقة، لم يكن هناك الكثيرون ولوّحت جنيفر لجيفري بمرح، وجلستا إلى طاولة قرب النار. وذهبت جنيفر بنفسها لتحضر الشراب. وعندما عادت، كان معها شراب الأناناس وشكرتها مارلين وعيناها تحدقان بالباب بقلق. فلو أن هيلين قالت لشقيقها إن جنيفر حضرت فسيحضر بدوره فوراً. ووجدت صعوبة في التركيز على ما كانت تقوله جنيفر، قالت جنيفر وهي ترتشف عصير الأناناس «والآن.. أريد أن أعتذر لك».

ـ تعتذري؟

ـ طبعاً، بخصوص يوم أمس، لقد حضرت بعد الظهر ولكن هيلين قالت إن لديك صداعاً.

ـ هذا صحيح... ولكن لا داعي للاعتذار!

ـ كلا.. فأنا أشعر بالأسف الشديد لتصرف جان، وأشعر بأنني ملامة، فانت لا تعرفين بأنني كنت مريضة، وأن جان يشعر بأنه مسؤول عن حمايتي.

ـ لا بأس يا جينفر.. فأنا لا ألومك.

ـ لا.. ولكن بإمكانك أن تفهمي ما شعرت به.. أليس كذلك؟ أعني.. ان جان بإمكانه أن يكون جارحاً في بعض الأحيان، ولو لم يكن الأمر بسببي...

ـ لا تفكري بالأمر.. بالمناسبة.. هل.. هل أشعل السيد باتلي الفرن فيما بعد؟

ـ اشعل الفرن؟ لا... ليس حسب علمي.

ـ لقد أشعله احدهم.

ـ ماذا؟

ـ اتذكرين أنك ذهبت إلى القرية لتحضري بعض الحطب للنار؟

ـ صحيح..

ـ هل اشتريتها؟

ـ اجل.. اشتريتها، واعتقدت أن جان أعطاها لك.

ـ لا، لم يعطني شيئاً. على كل بعد ذهابك، ذهبت إلى القرية لأشتري غيرها، وعندما عدت وجدت النار مشتعلة.

ـ فهمت.. ولكنني آسفة، لا أعلم شيئاً.

وظهرت نظرة خائفة في عينيها وتمتمت «يجب أن اسأل جان...».

ـ اوه.. لا تزعجي نفسك.. الأمر ليس مهماً.

ـ وما هو غير المهم؟

ورفعت جنيفر رأسها لترى من قاطع حديثهما، ولكن مارلين لم تكن بحاجة لرفع رأسها لتميز صوت جان باتلي الساخر.

وبدأت نبضاتها تتسارع، وقلبها يقفز. ورفعت كأسها وارتشفت بعض الأناناس، وهي تتمنى لو يبتعد عنها، ولكن جنيفر سحبت كرسياً إلى جانبها وجلس عليه. وقالت له:

- اوه جان.. مارلين كانت تسألني عما إذا كنت قد أشعلت الفرن لها بعد أن غادرناها يوم أمس؟

- لا.. لم أشعل النار.. جيف فعل هذا!

ورفعت مارلين وجهها لتنظر إليه بمرارة.. لماذا لم يقل لها عندما سألته، ولماذا ادّعى أن هناك تفسيراً خارقاً للطبيعة؟ لا بد أنه يعلم أن نصف خوفها اليوم كان سببه ما اختلقه من أفكار امامها. وقالت جينفر:

- ها أنت يا مارلين.. كان عليك أن تسأليه.

- ولكنني سألت السيد باتلي... ألم أفعل سيد باتلي؟

- وهل سألتيه؟.. إذاً لماذا...

- لقد روى لي السيد باتلي بعض القصص المختلفة حول خروج انجلو كيرتني من قبره.. ليشعل نار مدفأته.

وذهلت جينفر، وشعرت مارلين بالرضى أخيراً لأنها أربكته. واستدارت جينفر نحوه صائحة:

- هل هذا صحيح يا جان؟

- ماذا؟ أنني أخبرت الآنسة ڤيرسون عن الدخان الذي يُظن أنه يتصاعد من المدخنة.. أجل...

ونظرت اليه مارلين بحيرة: «أتعني أن هناك قصة من هذا النوع؟».

وتنهدت جينفر «اوه.. أجل... ولكن عندما يموت أحدهم في مثل هذا المكان المنعزل فهناك دائماً قصص يا جان! وما كان عليك أن تدع مارلين تشك...

- وهل أنا ملام بما تشك به الآنسة ڤيرسون؟

وأنهت مارلين شرابها، ونهضت فجأة قائلة:

- اعذراني.. ولكنني مسافرة غداً صباحاً، وأريد أن أنام باكراً...

ونهض جان بدوره ونظر إليها عن قرب:

- أنت مسافرة صباحاً؟ لم أكن أعلم!

- لم تكن تعلم؟ ظننت أن.. شقيقتك قالت لك!

- هيلين.. أبداً، لم ارها منذ بعض الوقت! لقد اعتقدت أنك ستبقين هنا إلى أن تصبح الصومعة صالحة للسكن!

ووقفت جينفر وانضمت اليهما وسألتها وقد بدا عليها الأسف:

- وهل ستعودين إلى هنا يا مارلين؟

وتنهدت مارلين قائلة:

- اجل.. اجل، أرجو ذلك. ولكن ليس قبل عدة أسابيع كما اظن. فهناك أعياد الميلاد وما يتبعها. قد يحل الربيع قبل...

وقال جان مقاطعاً وقد ضاقت عيناه:

- هل أفهم من هذا انك ترغبين في أن أستمر بالعناية بأملاكك؟

- أوه، طبعاً. لقد نسيت الأمر.. هل لك أن تفعل؟

- إذا كانت هذه رغبتك!

ووضعت جينفر ذراعها بذراعه وقالت:

- ربما أخفت مارلين بقصصك حول الظواهر غير الطبيعية حتى تسافر.

واجابت مارلين بابتسامة محاولة إبعاد جو التوتر:

- لا.. لا.. اختلاقات السيد باتلي لم تفزعني.

ومع أن الوقت قد حان لسفرها، فلم تعد راغبة في السفر، واللقها هذا الإدراك. ولكنها قالت بتصميم:

- خطيبي مريض. ويريدني أن أعود.

وتمنت لهما ليلة سعيدة، واستدارت لتخرج من الباب، ونادت جينفر «سأراك عند عودتك!».

وصلت مارلين إلى لندن بعد يومين، في أوج ساعات الازدحام واستغرقها حوالي الساعة لتصل الى شقتها. وسرت للعودة إلى منزلها في الجو المألوف لها. وتجولت في الشقة وهي تتفحص محتوياتها. لم تكن شقة كبيرة، كانت تحتوي على غرفة استقبال وغرفة نوم ومطبخ وحمام، ولكن، هذا بيتها، وصنعت كوباً من الشاي قبل أن تغرق في مقعد وثير وتأخذ الهاتف في يدها، وعندما سمع صوتها قال:

ـ كنت أفكر بك لتوي، وأتمنى لو كنتِ هنا، ارتدي معطفك ثانية واحضري حالاً. سأتصل بالمطعم ليرسل لنا العشاء.

بعد ان وضعت السماعة مكانها، ذهبت إلى الحمام، ودخلت الى المياه الدافئة واسترخت، وحملتها أفكارها إلى الصومعة، والى فندق «وايت بيل» والى جينفر، وخاصة جان باتلي، بما أن الرحلة قد انتهت الآن، فما عليها سوى أن تسترخي. ويجب أن تنسى كل شيء، وتفكر فقط بالأشياء الإيجابية في رحلتها. على كل، بعد أن تصبح الصومعة صالحة للسكن، فلا يوجد سبب أمامها لأن تشرك باتلي بشيء. سنجد شخصاً بعيداً عن الموضوع تعهد إليه برعاية المنزل.

اتخذت هذا القرار، وخرجت من المياه الدافئة، واخذت المنشفة لتجفف نفسها. وارتدت ملابسها بعناية لهذه الليلة. ارادت ان يراها مايكل بأفضل حالاتها، وربما لاستعادة بعض ثقتها بنفسها التي استطاع جان باتلي بسهولة أن ينتزعها منها.

شقة مايكل لم تكن بعيدة عن مكتبه، مكان فخم، أكبر بكثير من شقتها، وكبيرة ايضاً لرجل وحيد. ولكن مارلين ستنتقل للعيش معه فيها عندماسيتزوجان. وأوصلها المصعد إلى الطابق السابع وسارت عبر

الممر نحو باب شقة مايكل. وبعد لحظات فتح الباب ليظهر لها.

مايكل كروموبل، شاب طويل نحيل في أوائل الثلاثين من عمره. مظهره التقليدي الجميل ينعكس على طريقة لبسه، فقد كان يخيط ملابسه بعناية حسب مقاسه تماماً، وقمصانه مصنوعة يدوياً. لم يكن يتقيد كثيراً بالموضة، ومع ذلك استطاع ان يحافظ على أناقة ملحوظة. شعره بني، يتخلله بعض البياض، مما يضيف إليه الوسامة، وطالما أعجبت بوسامته. كانا قد التقيا عبر ناشرها ريتشارد غراهام، وتصادقا معاً منذ ثلاث سنوات، أي منذ أن كانت في الواحدة والعشرين. وتمت خطوبتهما رسمياً منذ ستة أشهر.

وتهللت قسمات وجهه الجدية عندما رآها وصاح:

ـ مارلين! حبيبتي! كم أنا سعيد برؤيتك!

وأدخلها الى الشقة واخذت تتفحصه، على الرغم من أنفه المحمّر من كثرة استخدام المنديل، إلا أنه لم يكن يشابه أبداً ذلك العاجز عن الحركة الذي توقعت أن تلاقيه. وتصاعد شعور خفيف بالانزعاج داخلها.

ـ كيف حالك يا مايكل؟ تبدو بأحسن حال.

ـ اجل. أنا أفضل بكثير!.. هذا المضاد للالتهاب الذي وصفه لي الطبيب فعل المعجزات. لا تستطيعين تصور الأيام غير المريحة التي قضيتها. ولكن كانت مفيدة، فقد استطعت أن أجعلك تعودين.

وتجاوزته مارلين سائرة نحو غرفة الجلوس، وهي تقاوم رغبة عارمة بأن تغضب «بالطبع أنت لا تعني أن كل هذا كان حيلة لإرجاعي إلى هنا».

واقفل مايكل باب غرفة الجلوس وراءه، وقد أحس بالسخرية الخفيفة في صوتها وقال بحدة:

ـ بالطبع لا! عندما اتصلت بك كنت في أسوأ حال حقيقة، ولم

اكن أدري كيف سأتدبر حالي بعد أن تركتني أمي.

واجبرت نفسها على الابتسام وقالت:

ـ حسناً، لا تهتم، فأنا هنا الآن. ألن تقدّم لي القهوة؟ فأنا بحاجة لها.

وتردد مايكل قليلاً وهو ينظر إليها متفحصاً، ثم سار نحو الطاولة حيث ابريق القهوة الكهربائي وبدأ يصب فنجانين لهما، كان وكأنه مدرك للضيق في تصرفاتها. وتعجبت مارلين لماذا بدت قسماته الوسيمة فجأة غريبة عليها. وقال مايكل وهو يتقدم ليعطيها فنجانها:

ـ حسناً؟ كيف كانت؟

ـ أتعني الصومعة؟

ـ وما غيرها؟ لقد كنت غامضة بتفسيراتك على الهاتف.

ـ حسناً، كان من الصعب التحدث على الهاتف، فالأمور لم تكن سهلة كما تصورتها.

ـ وماذا تعنين؟ ألم يكن هناك صومعة؟

ـ بل بالطبع كان هناك. ولكن كان هناك شخص آخر يتوقع أن يرث المنزل.

ـ شخص آخر؟ اعتقدت أن كبرتني العجوز كان يعيش وحيداً...

ـ اجل.. لقد كان كذلك.

ووجدت صعوبة في أن تخبر مايكل عن جان باتلي. وبطريقة ما كانت كارهة لأن تشرح تلك العلاقة أمام نظرة مايكل المتفحصة.

ـ اوه.. هيا.. ما الأمر؟ هل هناك متطفل عجوز آخر؟

ـ لا.. لا.. لا شيء من هذا.

ـ ربما الافضل أن تبداي منذ البداية. يبدو لي أن العملية كلها كان لها تأثير مزعج عليك. لقد لاحظت هذا منذ دخولك.

ـ اوه مايكل.. لا تعاملني كزبون عندك! فأنا أحاول أن أشرح

الأمر، ولكن، إنها مسألة شخصية.

ـ شخصية— لمن؟

ـ لجان باتلي...

ـ ومن هو جان باتلي هذا؟

ـ الرجل الذي كان يتوقع أن يرث الصومعة.

ـ فهمت، ولكن من هو؟

ـ إنه يملك فندق «وايت بيل» حيث كنت أقيم!

ـ فهمت.. ولكن هل هو قريب لعمك ايضاً؟

ـ نعم.. أكثر قرابة ممكنة، في الواقع هو ابنه!

ـ ابنه! انجلو العجوز له ابن؟ يا للشيطان العجوز! ولم يخبر احداً. إذاً فالمنزل ليس لك، أليس كذلك؟ ولكن لماذا الاختلاف في الاسم؟

ـ مايكل ارجوك.. أنت تدفعني بسرعة. وأنا أحاول أن أشرح لك. الصومعة لي.. باتلي ليس وريثه رسمياً.

ـ يا الهي!.. الآن بدأت أرى بوضوح.

ـ لقد ظن أن العجوز انجلو ليس له أقارب، وتركه العجوز يعتقد أن المنزل سيكون له عندما يموت، ولم يبحث أبداً أمر الوصية.

ـ ما هذا الوضع! مسكين باتلي! وكيف شكله؟ أعتقد أنك تشاجرت معه.

ـ تستطيع قول هذا.. إنه.. إنه شاب في الواقع.. إنه شخصية مسيطرة.

ـ صحيح؟ وهل هو متزوج؟

ـ لا.. على الاقل لا أعتقد!

وأدركت أن مايكل لا بد وأن يتساءل لماذا ظلت كل هذا الوقت هناك.. ثم قال مايكل:

ـ هل يريد المنزل؟

ـ نعم. . . يريده.

ـ فهمت. .

وبدا عليه الارتياح، ولم تفهم للحظة لماذا، حتى تابع كلامه:

ـ أنا سعيد لهذا. . بصراحة تامة، لا أرى أي مستقبل لنا هناك. اعني انه مكان بعيد جداً لقضاء نهاية الاسبوع، وعملنا هنا، في لندن.

ـ وهل تتوقع مني أن أبيعه، إذاً؟

ـ بالطبع. . ألا تظنين هكذا؟

ـ بصراحة، لا!

ـ ولكن لماذا؟ إنه لا يفيدك بشيء، وبما أن هذا الشاب له أولوية المطالبة به، فهذا أقل ما يجب أن تفعليه.

ـ لا. . ليس الأمر هكذا! انظر يا مايكل، لم نتكلم بعد عن المنزل ولا عن مشاريعي له. لننتظر حتى نأكل، ثم تستطيع أن تسألني ما تريد.

وابتسمت له لتريح مشاعره. ولكنه قطّب أكثر:

ـ حسن جداً. . ولكنني لا أرى أي فائدة من مناقشة الأمر. لقد قلت لك قبل أن تذهبي إنها رحلة لا فائدة منها.

ـ ولكنها لم تكن كذلك يا مايكل. إنه منزل له امكانيات كثيرة، فأنا أستطيع أن أعمل هناك.

ووقف مايكل وقال بخشونة:

ـ ولكنني أنا لا أستطيع. . ولكن كما قلت، لننتظر حتى نأكل، لقد قلت للمطعم انني سأتصل بهم عندما تصلين.

وبعد تناول الطعام، وأثناء تناول القهوة، بدأت تشعر أكثر بأنها في بيتها حقاً، على كل إنها تنتمي إلى هذا الجو مع مايكل، في هذه

الشقة الفاخرة، والدافئة. وجلسا معاً على أريكة مريحة، وذراع مايكل حول كتفيها. وأخذت تفكر بمميزات الحياة الفاخرة، المختلفة تماماً عن ذلك المنزل المنعزل في الجبال.

وعاد مايكل إلى موضوع الصومعة، وتساءلت مارلين عن أسباب تمسكها بذلك المكان. على كل، كم ستستخدمه؟ وهل ستتمكن فعلاً. ان ترك مايكل بعد أن يتزوجا لتعمل هناك؟ وبدا الأمر بطريقة ما مشكوكاً فيه. فقد كانت تعلم أن عملها يأتي بالدرجة الثانية بعد عمله. وهكذا يجب أن يكون.

وقال مايكل بلطف:

ـ إذا بعتي ذلك المنزل، تستطيعين استخدام المال كما تشائين. نستطيع شراء منزل ريفي، في مكان قريب ربما، حيث نستطيع أن نكون لوحدنا تماماً.

ونظرت إليه، ثم عادت لتنظر إلى المدفأة الكهربائية وهمست كأنما تكلّم نفسها «بعد احد عشر أسبوعاً سنتزوج!» والتقط مايكل ما قالته فوراً، وقال «بالضبط! احد عشر أسبوعاً. والميلاد ورأس السنة قريبان جداً. وليس لدينا الوقت الكافي لنمضيه في جدال حول منزل ريفي». وأبعدت مارلين الأفكار المشككة من ذهنها وقالت:

ـ لا. . أنت محق كما أعتقد. أظن أن فكرة امتلاكي لمنزل استحوذت على عقلي، ولكن معرفتي أن المالك الاصلي هو قريب بعيد. . حسناً. . مايكل، لقد مضى وقت طويل وليس لي أقارب أبداً».

ـ سنغير كل هذا قريباً. . سيكون لك زوج، وأم وعم.

ـ وأطفال. . .

ـ آخر شيء.. فلن أرغب في وقع أقدام صغيرة من حولنا في وقت قصير... أليس كذلك يا حبيبتي؟

ـ لا تستطيع دائماً الاختيار يا مايكل!

ـ أنا واثق أننا سنتدبر الأمر يا حبيبتي!

وعاد إليها شيء من شكوكها.. هل تسمح لمايكل ان يمتلك السيطرة عليها طوال الوقت؟ ليقود حياتها دون أية مشاركة واضحة منها؟ ولماذا تشعر دائماً بأنها مبرمجة لتسير نحو التدمير الذاتي؟.

يجب عليها أن تتوقف فوراً عن هذا البحث في الذات. لقد كان مايكل على الدوام رائعاً معها. إنه رجل يملك الكثير من المعجبات.

ليس من أجل جماله أو ماله، ولكن أيضاً لمركزه في المجتمع. إنها قاهية بحقه لتتصور أنه يسيِّرها كيفما شاء، لأنه يقوم بكل القرارات بنفسه. فهل تريد رجلاً يتقبل كل ما ترجوه منه بخضوع، أم تريد مايكل الذي يفعل ما يفكر أنه الأفضل لها؟ على كل، عمله هو المهم، وليس عملها، ويجب أن تسعى إلى الكمال في أوساط أخرى غير الوسط الفني. وكزوجة لمايكل يجب أن تكون مستعدة للتآلف مع الناس، وكل خططها التي تصورتها لتحويل الصومعة إلى منزل مريح يجب أن تنساها...

☆ ☆ ☆

٧ ـ من تخدعين؟

كان من المدهش كيف استطاعت مارلين ان تتكيف بسرعة مع الحياة في المدينة ثانية. كان أمامها الكثير ليشغلها: من التحضير للاحتفالات بالأعياد القادمة! كما أن الناشر كان قد حضّر لها سلسلة جديدة لتقوم بتزيينها بالرسوم. كان قد سرَّ كثيراً بالعمل الذي أنجزته، وأبدى اهتماماً بالصومعة أكثر من مايكل، ربما كان تفكيره العملي قد رأى إمكانيات أكثر لمارلين هناك. وقال لها ناصحاً:

ـ لا تتخلي عنه. على كل الأحوال، المنزل لك، وطالما تدفعين الضرائب وما إلى ذلك، فلا يوجد سبب على الإطلاق لأن تبيعيه الى أن تستنفذي كل الإمكانيات.

واستمعت مارلين اليه بانتباه، فريتشارد غراهام ليس من النوع الذي يقدم النصائح دون تفكير، ومالت للموافقة على ما قاله بأن ليس هناك سبب للاستعجال. وهكذا أخرجت كل فكرة بالتخلي عن الصومعة من ذهنها، وركزت كل تفكيرها على المستقبل القريب.

وانضمت إلى مايكل ووالديه للاحتفال بالميلاد. إضافة إلى

www.elromancia.com

أربعتهم كان هناك ايضاً شقيقته لوسي وزوجها واطفالهما الثلاثة، وهكذا كان اجتماعهم عائلياً بالكامل. وتمتعت مارلين بالجو المريح، وبما أنها لم تعرف مثل هذه السعادة العائلية إلا بعد أن أصبحت خطيبة مايكل، فقد شعرت بالامتنان نحوه لأنه جعلها جزءاً من حياته.

ولم تعد تذكر قضية الصومعة أمام مايكل. فقد أدركت أن الأمر سيكون أفضل أن تنتظر ليتحسن الطقس، وعندها تقترح عليه أن يزورا المكان. ومكذا تناست الأمر في الوقت الحاضر. وأغرقت نفسها بعملها، وانشغل مايكل هو الآخر بالأعمال المتأخرة بسبب الأعياد فلم يكن أمامهما الوقت الكافي للتحدث.

في إحدى الامسيات، حوالي أواخر كانون الثاني، عادت مارلين إلى شقتها متأخرة اكثر من المعتاد. فقد اضطرت لحضور اجتماع عمل طارىء في المكتب، أخرّها إلى ما بعد السابعة. وعندما وصلت إلى شقتها، لاحظت رجلاً يقف في الخارج على الدرج ينتظرها، وعرفت ذلك لأن شقتها كانت في أعلى المبنى وليس من شقق فوقها.

وفي الحال، تذكرت مناسبة أخرى، عندما شاهدت ذلك الطيف المظلم عند السلم هناك. وترددت لحظة قبل أن تمضي في طريقها نحو الدرج. وقال الرجل:

ـ مساء الخير آنسة ڤيرسون! لقد بدأت أتساءل ما إذا كنت تنامين في شقتك أم لا!

وتوقفت مارلين وهي تحدق بارتياب في قسمات وجه جان باتلي. وللحظة ظنت أن جوعها قد سبّب لها الهلوسة، ولكن عرض كتفيه بدا حقيقياً، والتعبير الساخر على وجهه من السهل تذكره. وبلغت نهاية الدرج محاولة إخفاء مشاعرها، وقالت بهدوء:

ـ مساء الخير، سيد باتلي، إنها مفاجأة غير متوقعة!

ـ صحيح؟ لا أرى لماذا؟ فانا أفضل أن أنجز أعمالي بنفسي، ولا

أرغب في ترك الأمر لحفنة من المحامين!

وحدقت به بارتياب، ثم هزت رأسها. ألم تستطع فهمه أم أن ما يقوله غير مفهوم؟ في كلا الحالتين لا يمكن أن يقفا على الدرج كي لا يلفتا نظر جيرانها.

وفتحت له الباب ودعته للدخول، ولكن على مضض، وحدق بها للحظات وتراجعت قليلاً لتسمح له بالدخول قبل أن تغلق الباب ثانية. وبدا لها أنه أكثر سيطرة وهو داخل شقتها، ومع أنها لم تعلم بعد بسبب هذه الزيارة، فإنها أدركت أنه لا يزال يفرض عليها شخصيته.

وسار باتلي إلى منتصف الغرفة ينظر من حوله باهتمام. وتساءلت لماذا يمتلك هذا الرجل بقسماته القاسية وتصرفاته الفظة مثل هذا التعجرف بينما مايكل، الوسيم أكثر والأكثر خبرة وعلماً، يبدو أقل تأثيراً عليها، بطريقة ما.

وصرفت مارلين عنها هذه الأفكار، وحلّت أزرار معطفها، وتمنت لو انها أصرت على التحدث معه في الممر الخارجي، والمخاطرة بسماع تعليقات الجيران. فبطريقة ما داخل الشقة أصبح الأمر شخصياً أكثر. وألقت معطفها على الكرسي وقالت محاولة كسر الصمت المطبق الذي ساد بينهما:

ـ هل أقدم لك شيئاً تشربه؟

ـ طبعاً! أفضل الشاي لو سمحتي!

ـ بالطبع...

وقدمت له الشاي، وتناولت فنجانها، وبعد أن تجاهل دعوتها له للجلوس، جلست هي على ذراع مقعد، وقالت له:

ـ لم أكن أعلم بأنك تزور لندن عادة.. يا سيد باتلي!

ـ أنا لا أزورها كثيراً. ولكن بما أنني فعلت فقد فكرت أن أزورك على الأقل.

- وماذا أتى بك إلى لندن، سيد باتلي؟

- لا تحاولي التلاعب معي آنسة ڤيرسون. فأنت تعلمين جيداً لماذا أتيت الى هنا، ولا أرى سبباً لتتظاهري بالعكس.

- لا أعلم سبب مجيئك سيد باتلي. والأكثر أنني أجد تصرفك معي عدائياً. كان من الممكن لك أن تكون هكذا، وأنا نزيلة في فندقك، ولكنك هنا في شقتي.. وأنا...

وتجاهل باتلي كلامها، واستدار، ثم سار نحو النافذة وأخذ ينظر إلى الساحة في الخارج، وقال بخشونة، وبدا واضحاً أنه يسيطر على أعصابه بصعوبة «آنسة ڤيرسون.. هل أنت مستعدة لانكار أنك أرسلتي لي رسالة تعرضين عليَّ بها أن أشتري الصومعة بثمن مرتفع جداً؟».

وشهقت مارلين، وصوت الصدمة الذي بدر منها جعله يستدير بحدة ليواجهها. وأخذ يحدق بها متفرساً، ثم بدأ يسير نحوها مجدداً. وتوقف على بعد أقدام منها، وقال «إذاً، هل أفهم أنك تنكرين هذا الأمر؟».

- بالطبع أنكر. لم أكتب رسالة لأحد. حتى للمحامين!

- إذاً، من تعتقدين بأنه كتب لي؟

- لا.. لا أستطيع أن أتخيل.. يجب أن تصدقني. لا أعلم شيئاً عن مثل هذه الرسالة.. هل.. هي مني؟

- لا.. إنها من ماكدونال وبرايسون، مكتب المحاماة.

- ولكن كيف يفعلون هذا دون إذن مني؟

وتوقفت عن الكلام وقد صدمتها فكرة. ليس هناك سوى شخص واحد يمكن له أن يفعل هذا.. مايكل! فهو الوحيد الذي ناقش معها مسألة بيع المنزل، ومن الواضح أنه أخذ سكوتها على محمل الرضى بالبيع. وبينما ظنت أن المسألة قد نسيت، ووضعت جانباً، كان يقوم بالتعامل معها دون علمها.

وتصاعد الغضب في داخلها، لأنه قد تمادى كثيراً، ولكنها أدركت فوراً بأنه قد يكون فكّر بأنه يعمل ما تريده هي. ولكنه لم يذكر كلمة عن الموضوع لها، وتصرف بالأمر بتسلط. وها هو باتلي الآن هنا، مستعد لدفع المبلغ الذي تطلبه للمنزل. فماذا عليها أن تفعل، وماذا تستطيع أن تفعل؟ كان باتلي يراقب الانفعالات على وجهها، وعندما نظرت إليه ثانية قال:

- أعتقد أنه قد أصبح لديك الآن فكرة عمن قدّم لي هذا العرض؟

- اجل.. أعتقد أنه مايكل.

- ومن هو مايكل؟

- خطيبي!

- فهمت، أعتقد أنه يريد بيع المنزل، من الواضح أنه لا يشاركك مشاعرك العاطفية تجاه المكان.

- لا.. إنه لا يشاركني.. ولكنه لم يرى المكان بعد.

- وماذا تعنين بكلمة «بعد»؟.

- ما قلته بالضبط.. كنت أخطط لأن آخذه إلى هناك بعد تحسن الطقس!

- يا إلهي.. أتعنين أنك لا زلت مصممة على تلك الفكرة المجنونة؟

- بالطبع...

ووقفت مارلين وأخذت تسير في الغرفة بعصبية، وتابعت كلامها:

- أنا آسفة لأنك ضيعت وقتك بهذه الرحلة، ولكنك لا تستطيع لومي. لم أكتب لك أية رسالة. ولا يمكن أن اكون مسؤولة عن تصرفات خطيبي!

- خطيبك مسؤول عنك.

- هذا صحيح.

ـ وخطيبك لم يطلعك على ما سيفعله. عجباً.. لماذا؟ هل كان يشك في أن تغيري رأيك؟

ـ لم أقرر رأياً حتى أغيره. في الواقع، اعتقدت أنه قد نسي كل القصة.. وكما قلت لك.. أنا آسفة.

ـ وأنا آسف كذلك.. يجب أن أتحدث مع هذا الرجل.. الشاب!

ـ ولكنني لن أراه الليلة.

ـ لن تريه؟

ـ لا... هل.. هل هناك شيء آخر؟

وهز كتفيه، ولم يعد يعبس في وجهها، ولكنه لم يبتسم أيضاً ولم يظهر الانشراح على وجهه. وتساءلت عما سيفعله بالتالي. وقال لها:

ـ يبدو أنك شاحبة آنسة ڤيرسون! هل تناولتي طعامك؟

ـ لا.. لم أتناوله بعد.

ـ إذاً، ارتدي معطفك ثانية.. وسآخذك للعشاء.

ـ اوه.. في الحقيقة لا أستطيع.

ـ ولماذا لا؟ أنا لم اتناول طعاماً ايضاً. أكيد أنك لن تدعي ما حدث بيننا في الصومعة يؤثر على قرارك. على كل، لقد سافرت كل هذه المسافة لأراك، وأقل ما تفعلينه أن توافقي على تسليتي هذه الأمسية. لا تقلقي، لن أحاول تكرار ما حدث في الصومعة. فنوعيتك من النساء لا تثير اهتمامي.

وغضبت مارلين من مرارة كلامه، والبرودة التي برزت في عينيه. وأرادت أن تثبت له أنها ليست من النوع الذي يفرض عليه الآراء، وأن تلك اللحظات في الصومعة لن تتكرر. عليها أن ترفض وأن تخرجه من شقتها، وماذا لو أنه يتوقع منها ان تفعل هذا؟

ولكن هناك سبب آخر يدفعها للقبول باقتراحه. فستكون مسرورة عندما تخبر مايكل بأنها امضت الأمسية مع جان باتلي، وهذا بطريقة

ما سيثار لها، وسيعطيه درساً بأن لا يقرر شؤونها بهذا الاستخفاف بها.

ـ حسناً.. سأتناول العشاء معك. هل تنتظر لحظة لأغير ثيابي؟

بعد أن خرجت من غرفة نومها وقد غيّرت ثيابها، فتح لها الباب الخارجي وهبطا الدرج نحو الطريق بصمت. وبعد أن ركبا التاكسي الذي استدعاه. قال لها:

ـ انا أزور لندن من وقت إلى آخر آنسة ڤيرسون، وكولنسايد ليست بعيدة كثيراً.

ـ لم أكن أتوقع منك أن تكون مسروراً في هذا المحيط.. فسكان المدن لا يعجبونك.

ـ وهل قلت هذا؟

ـ لقد قلت هذا بشكل غير مباشر.

ـ وهل فعلت؟ كم هذا قلة أدب مني؟

وأخذت تتساءل لماذا دعاها للعشاء معه هذه الامسية. بالتأكيد ليس السبب أنه يتمتع بصحبتها. ولكن ما يمكن أن يكون سبب إصراره على أن تخرج معه؟ هل يأمل بأن يقنعها ببيع الصومعة؟ وربما إقناعها بأنها تضيع وقتها ووقته بتأخير ما هو محتوم؟.

أمام المطعم، نزلا من التاكسي، وأمسك بذراعها، وقادها إلى الداخل. واتخذا لهما طاولة جلسا إليها، كان الناس من حولهما يضحكون ويتحدثون ويتمتعون، بينما شعرت مارلين بالتوتر وعدم القدرة على الاسترخاء. وتمنت لو أنها رفضت الدعوة. على كل لقد فات الوقت الآن وعليها أن تتمتع بوقتها، آملة ان لا يراها أحد يعرفها. ولكنها فكرت أن باتلي سوف يلتقي بخطيبها، ليطالبه بتفسير تصرفاته، وأن خطيبها سيعرف بأنهما قضيا الأمسية معاً. وتمنت لو أنها لم تساهم في خلق وضع غير مقبول بينهما.

ـ أنت صامتة.. هل هذه طبيعتك العادية، أم أن وجودي يعقد لسانك؟

ـ كنت أنتظر حتى تتكلم أنت. بدأت اتساءل فيما لو أنك ندمت على طلبك العشاء معي.

ـ ولماذا فكرت هكذا؟

ونظرت بعيداً عنه محاولة كبح مشاعرها، وتهدئة قلبها الذي بدأ يخفق راعداً في أذنيها. لا بد أنه يحس بما تشعر به، ويستخدمه لصالحه، وشعرت بالغباء لتجاوب مشاعرها. يجب أن توقف هذه المشاعر قبل أن تسيطر عليها، وقال لها همساً:

ـ توقفي عن محاولة تحليلي آنسة فيرسون. وتقبلي هذه الأمسية كما هي. وبالتأكيد لن يعترض خطيبك.

ـ ولماذا يعترض؟

ـ بالضبط.. لماذا يعترض؟ إذاً دعينا نسترخي ونحاول التمتع. إننا فقط رجل وامرأة نتشارك الطعام فيما بيننا. لا بد أن هناك الكثير لتتكلم به دون أن تتشاجر.

ـ أعتقد ذلك..

ـ جيد.. والآن اخبريني عن عملك، فأنا مهتم به، رغم أنني لا أعرف الكثير عن الموضوع.

وبدأت مارلين بالاسترخاء. فالحديث عن عملها يثير حماسها دوماً، وهذه الحماسة تحل مكان أي مشاعر أخرى مؤقتاً. ووجدت نفسها تتحدث له عن عملها بسهولة، وأبدى عدة ملاحظات أظهرت أن له ذوقاً فنياً. وبعد فترة، نسيت مارلين مع من تتكلم وانتقل الحديث إلى الموسيقى، ثم الثقافة. وبدا أنه قرأ الكثير وتباحثا حول المؤلفين الذين يعجبان بهم معاً. في الموسيقى أذواقهما اختلفت،

ولكن ليس كثيراً، واستطاعت مارلين أن ترى أن بإمكانه تذوق الموسيقى الحديثة التي تفضلها لو أنه استمع اليها، واتفقا معاً على حب الموسيقى الكلاسيكية. واستغرقهما الحديث، وهما يتمتعان بالطعام اللذيذ، ومالت مارلين في مقعدها قائلة:

ـ في الحقيقة يجب عليّ أن أبدأ بمراقبة وزني، فبعد طعام الفندق ثم هذا...

وتنهدت، فابتسم جان باتلي، ولم يكن قد ابتسم كثيراً خلال السهرة، ولكنه عندما فعل دهشت مارلين للتغيير الذي حصل في مظهره، وقال:

ـ لا أعتقد أن وزنك يجب أن يزعجك بسرعة، فأنا لا أهتم بالمرأة التي هي من جلد وعظام فقط!

ـ جينفر نحيلة جداً.

ـ جينفر كانت مريضة جداً. ولم تكن دائماً نحيلة.

ـ علمت بمرضها، وأنا آسفة، لم أقصد أن أكون فظة، بل كانت فكرة أتتني وتلفظت بها عالياً. لم أقصد التهجم.

ـ لا بأس آنسة فيرسون، لم انزعج. فصفات جينفر ليست مصطنعة... إنها أساسية في شخصيتها.. وهذا شيء من الممكن أنك تقدرينه.

ـ وماذا تعني؟

ـ لا شيء.. قطعاً لا شيء!

ونهض على قدميه، وعلمت مارلين أن السهرة بالنسبة إليه قد انتهت. ونهضت بدورها وهي تتنهد، وقد شعرت بالانقباض، ولكن ماذا كانت تتوقع؟ لم تكن بالنسبة إليه سوى شخص يملأ فراغ بضع ساعات له. شخص تثق أنه ينظر إليها بقدر من التكبر، وبقدر أكبر من قلة الصبر. وغادرا المطعم، وبعد بضعة دقائق أوصلهما التاكسي إلى

www.elromancia.com

مدخل البناء الذي تسكنه وقالت له مبتسمة:

ـ شكراً لك للعشاء. لقد كان جميلاً وغير متوقع. أنا آسفة لإضاعتك الوقت في رحلتك هذه.

ـ ألن تدعيني إلى شقتك لتناول القهوة؟

ـ لقد.. لقد تناولنا القهوة لتونا.

ـ كان هذا من ثلاثة أرباع الساعة.

ـ ولكن الوقت متأخر...

ـ لم تتجاوز العاشرة والنصف. وأعرف أن فتيات لندن يسهرن حتى نصف الليل!

ـ ليس عندما يكون عندهن وظائف وعمل.

ـ آه.. فهمت.. هل أنت خائفة مني؟ هل هذا هو السبب؟

ـ بالطبع لا...

ـ ربما تكونين خائفة.

ـ ولماذا؟ ألانك عانقتني؟ دعني أقول لك شيئاً سيد باتلي، نحن فتيات المدينة يلزمنا أكثر من عناق في بيت مهجور لنفكر فيه!

واستدارت، ثم أسرعت نحو باب البناء، وهي تتوقع في أية لحظة أن تراه خلفها، وأخذت تفتش عن المفاتيح في الحقيبة، وكان معطفها طويلاً، ولم تستطع أن ترفعه عن الأرض وتفتش حقيبتها في نفس الوقت، فعلق حذاءها بالمعطف فتعثرت ووقعت.

وتناثرت محتويات حقيبتها فوق الدرج، ووقعت على ظهرها، وكان بالإمكان أن تكون السقطة أسوأ وتقع على رأسها أو تكسر ذراعها أو ساقها. ولكن بالنسبة لها كانت آخر قشة تقصم ظهر البعير، وانتابتها رغبة في البكاء من الغضب، والإحباط عندما تقدم باتلي ووقف أمامها، ينظر إليها بإذلال، ثم قال: «هل تأذيت؟» وركع وبدأ يجمع أشياءها ووضعها في الحقيبة. وهزت مارلين رأسها وقالت «لا.. لا

أعتقد أنني تأذيت!» ووقفت على قدميها. وانهى باتلي تجميع الاشياء، ووقف ايضاً وهو ينظر اليها:

ـ ما فعلتيه نوع من الجنون.. كدتِ تقتلين نفسك!

ـ أعلم هذا..

وأخذت حقيبتها من يده واستدارت لتكمل طريقها، وأحست بعمودها الفقري يؤلمها وهي ترفع قدمها على السلم، ولكنها أخفت آهة الالم التي كادت ان تخرج من فمها. وصعد باتلي معها وعندما وصلا إلى باب الشقة بدأت تبحث ثانية عن مفاتيحها في الحقيبة ولكنه مد يده بالمفاتيح أمام عينيها. ودون أن يقول شيئاً فتح لها الباب.

كانت ترتجف كثيراً حتى أنها لم تعترضه، وعندما دخل معها إلى الشقة لم تعارض، فقد بدا لها الأمر محتوماً، وخلعت معطفها بتوتر، وخلع بدوره معطفه ثم قال:

ـ اجلسي.. سأصنع بعض القهوة...

ـ لا.. أعني.. أنك لا تعرف أين تجد القهوة.

ـ ارتاحي... أستطيع إيجادها!

وغرقت مارلين في الاريكة، وهي تشعر بالتعب، وعندما عاد ومعه صينية القهوة، كانت على وشك النوم من الإرهاق، فقد كان يومها متعباً في العمل، واحداث هذا المساء كانت مرهقة أيضاً.

ووضع باتلي الصينية على طاولة قريبة وتقدم ليقف قربها وينظر إليها:

ـ كيف تشعرين الآن؟

ـ أفضل بكثير.. هل وجدت كل شيء؟

ـ كل شيء على ما يرام.. لماذا فعلتي هذا؟ هل كنت حقاً خائفة مني؟

واحمّر وجه مارلين واتكأت على كوعها وتمتمت:

ـ لقد قلت إنني يجب أن أخاف منك!

ـ وهل قلت هذا؟

ـ أجل..

كان توقها إليه شديد جداً، حتى أنها لم تستطع منع نفسها من مد يدها لتمسك بإحدى يديه، وانزلقت اصابعه بين أصابعها، وتطلعت إليه وتمتمت «جان» وسألها: «تريدين أن أعانقك؟» وابتلعت ريقها، فكلام كهذا بدا لها دنيئاً بطريقة ما، فقالت بجفاء «جان! لا تتكلم هكذا...» وقطب جبينه «ولماذا؟ هل يدمّر هذا خيالك العاطفي؟».

وحاولت ان تسحب أصابعها من بين أصابعه لهذه السخرية في صوته، ولكنه رفض ان يتركها، وقال لها «أنا على حق.. أليس كذلك؟ لقد أردتِ علاقة معي هناك! تلك الحادثة التي حاولتي نسيانها لم تكن عناقاً مختلساً في نظرك. لقد كان نصراً. وأعطاك شعوراً بالقوة، لأنك عرفت أنني لمستك غصباً عني. وها أنتِ الآن تريدين أن تثيري فيّ نفس الرغبة.. أليس كذلك؟ قد تجدين خطيبك مرضياً لك عندما يتعلق الأمر بالثراء والمركز الاجتماعي، ولكنه لن يرضي رغباتك الخاصة في داخلك...».

ـ اصمت! كيف تتجرأ وتقول مثل هذا الكلام؟

ـ الحقيقة مؤلمة.. أليس كذلك؟

ـ هذه ليست الحقيقة، وأرجوك اتركني!

ـ بكل سرور.. آنسة ڤيرسون!

وأحنى رأسه بأدب، ودون أية كلمة أخرى قطع الغرفة، والتقط معطفه وألقاه فوق كتفه، ثم سار خارجاً من الشقة، وصفق الباب وراءه.

٨ ـ رجلان وامرأة

لم تنم مارلين ليلتها جيداً. وتقلبت في الفراش حتى الساعات الأولى من الصباح، وعندما نهضت من السرير شعرت بالانزعاج الشديد. وعندما وصلت إلى المكتب علق ريتشارد غراهام على السواد الذي أحاط بعينيها:

ـ سهر الليل لا يناسبك يا عزيزتي.

ـ في الواقع تأخرت في النوم.

وأخرجت بعض الرسومات من حقيبتها وأعطتها له «ما رأيك بهذه؟».

ـ أنت عصبية هذا الصباح.. أليس كذلك؟ كنت أمزح فقط!

ـ أنا آسفة.. إنني متوترة قليلاً!

ـ ولماذا؟ هل تشاجرتي مع مايكل؟

ـ لا..

ـ إذاً، ما الأمر؟ هل أنت قلقة لسبب آخر؟ عملك رائع، ولا لزوم للقلق حوله. وهذه الرسومات جيدة جداً.

ـ أنا لست قلقة من شيء يا ريتشارد. وهل يجب أن يكون هناك سبب لكل شيء؟

www.elromancia.com

ـ حسناً.. لست أدري. ليس من عادتك أن تكوني متوترة، هذا كل شيء. أنت عادة هادئة وغير معقدة.

ـ وكيف تعرف ما انا؟

ـ حسناً.. حسناً.. أنا آسف لأنني تكلمت! انسي ما قلته. وإذا كنت قد أزعجتك فأنا آسف.. والآن بخصوص الرسوم للقصة، هل تحتاجين للنص، ام تكفيك الملاحظات؟

وشعرت مارلين بالذنب، فليس ذنب ريتشارد أنها أمضت ليلة رهيبة. لقد كان ذنبها هي لأنها سمحت لجان باتلي أن يلاحظ أن شخصيته قد أثارت مشاعرها. وسوف تتأكد جيداً حتى لا يحصل هذا ثانية.

ـ ريتشارد أنا آسفة.. أنا.. حسناً.. لقد حصل شيء لم أكن أتوقعه أبداً.

ـ لا تفكري بالأمر يا عزيزتي. من حقك الاحتجاج.. فليس هذا من شأني!

ـ مايكل يحاول بيع الصومعة دون علمي.

ـ ماذا؟ وكيف يفعل هذا؟ لقد ظننت أنكما نسيتما الأمر.

ـ أنا نسيته، ولكنه لم يفعل!

ـ هل ناقش الأمر معك؟

ـ في البداية فقط، ثم لم أكن قد قررت ماذا سأفعل. ولا أتذكر أنني قلت بأنني سأبيع، ولا أنني لن أبيع. على كل الأحوال، يريدني مايكل أن أشتري بالمال منزلاً قرب لندن.

ـ إنها ليست فكرة سيئة. على كل، لا بد أن تهتمي به بعد زواجكما. فأنت تستطيعين العمل في أي مكان...

ـ أعلم... والأمر كله غير مهم. أعني لا يجب أن يهمني أين

أعيش طالما أنا مع مايكل.

ـ هذه هي الفكرة! فالحب يحدد الظروف. وربما ستدركين بعد زواجكما أنك لا تهتمين فعلاً بالصومعة او اي مكان آخر طالما كنتما معاً.

واطرقت مارلين قليلاً ثم قالت:

ـ هذا صحيح.. والآن بخصوص هذه الرسومات..

واستغرق العمل كل ذلك الصباح، ولم يجذب انتباهها تساقط الثلج في الخارج. ولكن عند وقت الغداء، تلقت مكالمة من مايكل. وقررت أن لا تذكر الصومعة على الهاتف، وقالت «هالو مايكل، هل ستطلب مني الخروج معك إلى الغداء، فأنا غير مشغولة؟».

ـ أجل.. فهذه الفكرة في ذهني. ما رأيك أن نلتقي عند الواحدة في فندق «الامباسي؟».

ـ جيد...

وتساءلت مارلين عما إذا كان اتصاله بها له علاقة بجان باتلي. وكانت متشوقة لتعرف، ولكنها كرهت ان تبحث الأمر على الهاتف، فقالت:

ـ هل اشتريت التذاكر للحفلة الموسيقية؟

ـ اجل.. لقد اشتريتها، لمساء الخميس. هل يناسبك هذا؟

ـ الخميس؟ أجل أظن هذا، ومتى سنتناول عشاءنا عند عائلة ليستر؟

ـ يوم الجمعة...

ـ هذا مناسب إذاً. يجب أن أذهب يا عزيزي، فأنا أعمل في شيء ما..

ـ حسناً.. أراك عند الواحدة.

ووضعت السماعة، ثم عادت إلى العمل، وهي تفكر كيف ستواجه

www.elromancia.com

مايكل بتعامله من وراء ظهرها. لطالما عرفت أن افضل طرق الدفاع هي الهجوم، وصممت أن تسمعه رأيها قبل أن يواجهها بالامسية التي قضتها مع جان باتلي.

ودخلت الفندق بعد الواحدة بعدة دقائق، ورافقها الساقي إلى طاولة مايكل. وما إن شاهدته حتى شهقت بالدهشة، فقد كان معه جان باتلي.

ووقف لها مايكل، وقدم لها مقعداً. ونظرت إلى الجالس الآخر على الطاولة، الذي وقف بدوره عند وصولها، ثم عاد إلى الجلوس، وتصاعد الدم الى وجهها للنظرة الساخرة في عينيه. وبدأت الكلام «مايكل...» ولكن مايكل اسكتها قائلاً:

ـ اسمعي يا مارلين.. أعلم أن هذه كانت مفاجأة كبيرة لك. وأعلم أنك ستشعرين بالانزعاج لأنني عملت من وراء ظهرك. ولكن في الواقع السيد باتلي.. الذي تعرفينه بالطبع.. موجود هنا ليتم صفقة الصومعة!

ونظرت إليه مارلين بعينين متسائلتين «نعم...؟».

وأخذ مايكل يدها بين يديه وقال «أجل.. يا حبيبتي. أعلم أنك لم تقرري شيئاً نهائياً حول المنزل، ولكنني أعلم أنك مترددة...».

ـ وهل كنت مترددة؟ مايكل أنا لا أفهم...

وتدخل جان باتلي، ومال نحوها عبر الطاولة، قائلاً وهو ينظر إليها:

ـ ما يحاول خطيبك أن يقوله آنسة ڤيرسون، إنه يريد منك أن تبيعي الصومعة وأنه اتصل بي عبر المحامين ليطلب مني أن أقدّم عرضاً للمنزل.

عيناه تتحديانها: تتحديانها أن تقول إنها تعرف، وانه قابلها في الليلة الماضية، وان كل شيء قد تمت تسويته! ولكن كيف تفعل وقد يثير هذا وضعاً يمكن أن يفلت كل شيء من يدها؟ وهزت رأسها

بيأس، وتابع مايكل كلامه:

ـ طبعاً لم أتوقع حضور السيد باتلي إلى هنا شخصياً، ولكن علينا أن نسوي المسألة بطريقة أو أخرى.

ـ هل تعني بقولك هذا يا مايكل، أن تخبرني بأنك اتصلت بمكتب ماكدونال وبرايسون من وراء ظهري؟

وبدا على مايكل القلق:

ـ اجل.. كنت أتصرف باسمك يا مارلين. وأعلم أنك ستوافقين أن هذه هي الطريقة الوحيدة في هذه الظروف، وبما أننا سنتزوج قريباً...

ـ ولكنني أردت أن ترى المنزل قبلاً! وكيف تستطيع التخلص من الصومعة دون ان تراها؟

وتدخل جان باتلي قائلاً وهو يشعل سيجاراً:

ـ لا أعتقد أن السيد كرومويل يرى فائدة في امتلاك منزل لن يكسب منه كثيراً. ولقد فهمت أنه يفضل ان تبيعيه وتشتري منزلاً قرب لندن.

ـ الصومعة لي سيد باتلي... وأعرف تماماً ما يحبه السيد كرومويل، ولكنني أعتقد أن القرار النهائي لي!

ونظر إليها مايكل متفحصاً:

ـ مارلين أرجوك! لا يشك أحد في حقك. كل ما نحاول أن نفعله هنا أن نصل إلى قرار محدد حول المنزل. وكما قال السيد باتلي... لا أرى سبباً...

ـ انت لا تحاول حتى أن تفهمني.. أليس كذلك؟

وشعرت مارلين بإحباط فظيع. أن يفعل مايكل هذا من وراء ظهرها دون أن ينتبه إلى سخرية باتلي حولا، كل شيء دار بينهما. لماذا لم يخبرها أنه قد رتب هذا اللقاء؟ ولماذا لم يعلمها ماذا ستتوقع، بدل

وضعها في وضع مستحيل؟ هل هذه غلطة باتلي؟ وهل هذا اللقاء فكرته؟ وهل هو وسيلة أخرى لإذلالها.. ربما!

وأقبل الساقي، ليقدم الطعام، وابتعد الحوار لفترة عن الموضوع إلى الطعام. وظل مايكل ينظر إليها، وعلمت أنه قلق بسبب نتيجة حديثهما. عند نهاية العشاء تقريباً قال باتلي:

- اخبريني آنسة ڤيرسون، إذا كنت تنوين استبقاء الصومعة لك، فمتى تنوين العودة؟

ونظرت مارلين نحو مايكل، وأزاحت طبقها من أمامها وقالت ببرود:

- وهل يهمك الأمر؟

- قد يساعدني على معرفة كم من الوقت يبقى لدي للعناية به.

- لقد عرضت أنت هذا.

- أعلم.. ولا أرفض المهمة. أحاول فقط أن أتأكد من خططك.

- أنت تحاول فقط أن تظهر لخطيبي أن الصومعة مضيعة للمال.

- وهل أفعل هذا؟

ونظر مايكل اليها متسائلاً:

- أتعنين أنك تدفعين للسيد باتلي لقاء اهتمامه بالمنزل؟

- أدفع القليل...

- وماذا يشمل عمله؟

وقال جان بهدوء «إشعال النار، شراء الوقود، وما إلى ذلك.»

ونظرت إليه مارلين «لقد كان مخزن الوقود مليئاً خارج المنزل».

- لا شيء يبقى إلي الأبد.

وتدخل مايكل قائلاً:

- حقاً يا مارلين.. أليس لديك فكرة كم سيكلفك الحفاظ على هذا المنزل؟.

- لن يكون الامر مكلّفاً اذا استطعنا استخدام المنزل.

- نستخدمه لماذا؟

المال دوماً كان له الأهمية الرئيسية بين اهتمامات مايكل وأغضبه أن تبدد مارلين راتبها على بناء لا لزوم له أبداً. وقالت مارلين بانفعال وقد رمت بحذرها جانبا:

- نستطيع العيش هناك!

كانت تعلم أن هذا القول سخيف، ومستحيل، ولا يمكن توقع أن يتخلى مايكل عن عمله الرائع في لندن لينتقل إلى منطقة نائية، ولكنه أثار بنفسه هذا الشجار ولم تعد مهتمة كم سيكون النقاش غير مسؤول.

- واترك عملي هنا! اوه.. أنت غير منطقية يا مارلين! ولا أعلم ما بك؟ أنت بكل بساطة غير متعقلة!

وحدقت مارلين به للحظات، ثم نظرت إلى جان بغضب، ونهضت على رجليها وسارت خارجة من المطعم، وسمعت مايكل يناديها، ولكنها تجاهلته وخرجت إلى الهواء البارد تتنفس بعمق.

وسمعت باب المطعم يفتح ووقع أقدام خلفها، وبما أنها لم تجد سيارة أجرة، بدأت بالسير بسرعة في الشارع. ولكن وقع الأقدام تسارعت، وبعد لحظات وصل مايكل إلى قربها. وأمسك بذراعها، ولكنها جذبته من يده، وتنهد بقوة وقال:

- مارلين حبيبتي... الأمر كله سخيف. انظري، أعلم أنني لم يكن عليّ أن أكتب لباتلي دون علمك، ولكن كيف لي أن أعرف أنه سيجيء إلى هنا؟

لقد وضعني أمام الأمر الواقع، وعندما اقترح أن نتناول الطعام معاً، ماذا كنت أستطيع ان أقول له؟

- وهل اقترح هو أن نتغدى معاً؟

- طبعاً.. وهل تتصورين أنني قد أفاجئك بالأمر هكذا؟

وترددت مارلين.. لا.. بالطبع. فهذه ليست طريقة مايكل. فهو سينتظر ليختار الفرصة المناسبة أكثر، ثم سيجردها من كل حججها بحيث أنه عندما يطلب منها ما يريد ستكون مستعدة لأن توافق. باتلي هو من فضّل أن يفاجئها بالأمر الواقع على أمل تحقيق فرصة غير متوقعة.

ومع ذلك فأعمال مايكل تتحدث عن نفسها، ولا تستطيع أن تغفر له ما فعل، فاستدارت إليه قائلة:

- كان يجب أن تستشيرني قبل الكتابة للمحامين. لي الحق أن أعرف، لا يعني كوننا مخطوبان أن لك... على كل، هذا الكلام لن يغير الوضع الآن. ماذا تتوقع مني أن أفعل؟

- حبيبتي، لا أتوقع منك شيئاً. لقد اعتقدت.. أعني، بعد محادثتنا عندما رجعت من هناك، اعتقدت أنك في الواقع تريدين أن تبيعي الصومعة. وما فعلته كان بكل بساطة لتوفير المشاكل القانونية عليك فقط. لقد نويت ان أشرح لك كل شيء عندما أحصل على عرض من باتلي، ونسخة عن المطلوبات. بالتأكيد تستطيعين فهم هذا.

- ولكنك الآن، في المطعم...

- انسي ما قلته في المطعم، فماذا أستطيع أن أقول غير ما قلت؟ لا أستطيع أن أنحاز إلى جانبك أمام رجل متورط جداً بالقضية، أعني ان الاوضاع تبرر التصرفات، وأنت تعرفين هذا، أما بالنسبة للانتقال للسكن هناك، فهذا غير ممكن وانت تعلمين!

- ولكنني لا أرغب في بيع الصومعة.. لقد.. تحدثت مع ريتشارد حول الأمر..

- ريتشارد.. اوه!

- أجل.. إنه صديق لي، وقال إن ليس من سبب لأن أقرر شيئاً على الفور!

- وماذا لو أن باتلي غيّر رأيه ولم يعد يريد أن يشتري؟

- وماذا يهم؟ هناك أناس آخرون يرغبون في شرائه.

- لن يدفعوا عشرين ألف جنيه، أليس كذلك؟

- عشرون الف جنيه! أتعني أن باتلي...

- بالضبط، لقد عرض عشرين الفاً.

- ولكن من اين له كل هذا المال؟

- وماذا تعنين؟

- ما قلته تماماً. جان باتلي ليس ثرياً. صحيح أنه يملك فندقاً هناك، ولكن هذا ليس عرضاً عملياً، إضافة إلى أن شقيقه وشقيقته يشاركانه في الإدارة. فكيف له أن يتحمل دفع عشرين الفاً؟

ولمعت في رأسها فكرة، واستدارت إلى مايكل وسألته بارتياب:

- من اقترح هذا المبلغ؟ بكل بساطة الصومعة لا تساوي هكذا مبلغ!

- هذا الأمر لا تقررينه أنت يا مارلين. عندما يبيع المرء ملكاً، لا يسأل ما إذا كان هذا الملك يساوي أو لا يساوي المبلغ المطلوب، وخاصة إذا كان الزبون موافق...

- أنا.. حسناً، ليس الأمر صحيحاً تماماً.

وتذكرت الطريقة التي قال لها جان باتلي لها أنه سيمتلك المنزل بأي ثمن. وفي هذه الظروف، يجب ان تكون شاكرة لمايكل لأنه حصّل لها هذه الكمية المحترمة من المال، ولكن كل ما استطاعت التفكير فيه كان ان لمايكل مصلحة وأن تعاطيه بالمسألة كان لنفسه

بقدر ما هو لها. فأردفت «يجب أن تتذكر أن هذه ليست مسألة عادية...».

- هذا بالنسبة لك فقط...

- ولكنني لا أريد أن أبيع يا مايكل.

- ولكن لماذا؟ لا تستطيعين العيش هناك! وهو عبء على مدخولك! وماذا يفيدنا؟

- سأقول لك شيئاً يا مايكل! إذا لم أستطع الاحتفاظ بالصومعة، فعلى الأرجح سأهبه لأحد ما.

- تهبينه؟

- اجل.. انظر، أنا لا أحب باتلي، وأعلم أنه لا يحبني، ولكن هذا لا يغير واقع أنه ابن عمي، لذا فله حق بالمكان...

- لم اسمع بحياتي سخافات كهذه! مارلين، لا بد أنك جننتي! لا تستطيعين التخلي عن هكذا منزل قيّم!

- إنه لي يا مايكل...

- ستتزوج بعد ثمانية أو تسعة أسابيع! وبالتأكيد من حقي أن أعطيك نصيحتي!

- أنت تعرف أن هذا من حقك يا مايكل، ولكن في هذه القضية يجب أن أقرر بنفسي.

- ولن تهتمي بمن ستؤذين في هذه العملية، هل هذا ما تعنينه؟

- بالطبع لا يا مايكل... لقد قلت إنني غير منطقية، ومع ذلك ترفض الذهاب لرؤية المنزل بنفسك. وهذا بالتأكيد أمر غير منطقي!

- وما فائدة ذهابي؟ انظري.. تعالي لنعود إلى المطعم...

- لا...

- حسناً عليّ العودة.. ماذا أقول لباتلي.

- هذا متروك لك.. يجب أن تقول له إنني لن أبيع الصومعة أبداً.

أما بالنسبة لإهدائي المنزل له... فلم يحن الوقت بعد، يجب أن أذهب ثانية لألقي نظرة أخرى على المكان.

واستدار مايكل، وكان واضحاً أنه يجد صعوبة في التحكم بغضبه، وعلمت مارلين أنه يظن أنها ستجعله يبدو غبياً. ولكن ماذا عن ما فعله بها عندما تصرف من وراء ظهرها، محاولاً خلق وضع لا تستطيع التراجع عنه؟ وخمنت أنه قد قرر أن يترك المسألة عالقة في الوقت الراهن. وقد يعود لها فيما بعد عندما تكون الظروف مؤاتية أكثر لمصلحته.

- حسناً سأقول له إنك لست مهتمة بالبيع. بالتأكيد سيعتقد أنك مجنونة! هذا إذا لم يطالبني بالمصاريف.

- يجب ان أذهب.. لقد تأخر الوقت!

- هل سأراك الليلة؟

- إذا احببت.

- سأجيء عندك بعد العشاء. أعتقد أنك غير مهتمة بالعشاء خارجاً.

- ليس هذه الليلة... وداعاً..

وتردد مايكل لحظة، ثم قال «لا تقلقي... سأتدبر الأمر!».

وأوقفت سيارة أجرة، في داخلها حاولت تحليل مشاعرها. إنها تتصرف بحماقة ويجب عليها أن تتمالك نفسها. ماذا تفعل الآن لتدمر مستقبلها بيدها هكذا؟ مايكل ليس من النوع الذي قد يتحمل تجاهلها له لمدة طويلة.

الغلطة كلها غلطة باتلي، لولا تدخله في الصومعة، لقررت دون شك أن تبيع المنزل في النهاية، ولما أوصلت نفسها إلى هذا الوضع المستحيل. ونظرت من نافذة التاكسي لتجد أنها قد وصلت تقريباً إلى مكتبها. وتمنت أن يكون هناك شخص ما، شخص غير متورط مباشرة

أو غير مباشرة، شخص تستطيع أن تلجأ اليه. يجب عليها أن تقرر بنفسها ما إذا كان مايكل على حق، وما اذا كان عليها إنهاء علاقتها بالصومعة فوراً وإلى الأبد.

☆ ☆ ☆

٩ ـ عقلي وقلبي

بينما كانت مارلين في المطبخ تنظف الأواني التي استخدمتها لتحضير وجبة العشاء في شقتها، قرع جرس الباب. وجففت يديها وخلعت المئزر الذي كانت تضعه فوق ثيابها وسارت نحو الباب. وكانت تتوقع حضور مايكل.

عندما فتحت الباب لم يكن الطارق مايكل بل كان جان باتلي.. وأجفلت، ولكنها سيطرت على تعبيرات وجهها وقالت:

ـ مساء الخير سيد باتلي.. إنها مفاجأة..

ـ لقد قلتي هذا الليلة الماضية.. هل لي أن أدخل؟

ـ في الواقع لا أرى سبباً لدعوتك للدخول، لا بد أن مايكل شرح لك كل شيء.

ـ لقد كان خطيبك واضحاً جداً في الواقع. وهو يعتقد أن دفعك أكثر سيجعلك تفعلين شيئاً غير مسؤول أبداً، ولا يجروء على المخاطرة.

www.elromancia.com

- حسناً.. وما بعد...

- هناك أمور محددة يجب أن نناقشها لو كنتي ستستمرين في امتلاك المنزل.

- مثل ماذا؟

- مثل استئجاري له منك، مثلاً.

- ولكنك قلت إنك غير مهتم بالمشاركة فيه! قلت هذا بنفسك!

- أعرف أنني قلت هذا، في ذلك الوقت لم أكن مقتنعاً بأنك لا يمكن أن تبيعي.

- إذاً الأفضل أن تدخل...

- شكراً لك..

وسار وراءها إلى غرفة الجلوس، مغلقاً الباب الخارجي وراءه، وفك ازرار معطفه، وأشارت مارلين دون اكتراث إلى أحد المقاعد، ولكنه آثر أن يظل واقفاً، وكذلك هي.. ثم قالت محاولة أن تكون عملية:

- والآن.. ماذا يجول في ذهنك؟

- الاستئجار.. على أساس عقد سنوي...

- ولكن.. لو وافقت على هذا لن يمكنني استخدام المنزل أبداً.

- وهل ستستخدمينه على كل الأحوال؟

- وماذا تعني؟

- لا شيء.. لا شيء.

- إذا كان خطيبي قد أوضح الأمور لك، فأنت إذاً تعلم أن ليس في نيتي ترك الصومعة تماماً. وأنا آمل أن أقنعه عندما يتحسن الطقس...

- أوه.. أرجوك.. لا أريد أن أعلم ماذا تخططين مع السيد كروموبل، كل ما أنا مهتم به أن أحصل على اتفاق ثابت.

- هذا جيد جداً سيد باتلي، ولكن ألم يشرح لك مايكل...

- خطيبك وأنا تبادلنا نقاشاً ودياً جداً حول المسألة، ولكن ما إذا كنت تعتبرين الأمر يرضيك أم لا فهذا شأن آخر.

- إذا كان خطيبي قد خدعك، أو أنه أفهمك أنني...

- أنا أدرك تماماً مشاعر خطيبك تجاه هذه المسألة. في الواقع قد أذهب إلى حد أن أقول إنني أوافق على اعتراضاته. ولكن في الوقت الراهن أنا مستعد لاتخاذ موقف غير معارض. على كل، لست مستعداً...

- مهلك لحظة.. هل تحاول أن تقول لي إن مايكل قدّم لك عرضاً؟

- لا.. وحق السماء.. وهل قلت هذا؟

- لا، ولكن هذا ما أفهمه من كلامك! أظن أن من الأفضل أن نترك أي نقاش في المسألة إلى أن أتفحص المنزل ثانية.

- تتفحصين المنزل! أتعنين أنك تنوين العودة إلى هناك؟

- بالطبع...

- فهمت.. إذاً أنتِ فعلاً مصممة. أتمنى أن أعرف لماذا؟

- وهل يهمك أن تعرف؟

- طبعاً يهمني! اللعنة عليك! لقد عرضت عليك عرضاً أكثر من سخي ثمناً للصومعة! وسافرت كل هذه المسافة لأنهي الاتفاقية وأوفر عليك الرحلة شمالاً. ولا تزالين مصّرة على التصرف كطفل مدلل مع لعبة جديدة!

وتألمت مارلين الآن وأصبحت غاضبة:

- ربما إذا توقفت عن معاملتي كطفل مدلل أو كامرأة غير مسؤولة، أستطيع أن أقرر بسهولة أكثر!

وتقدم باتلي نحوها وهو يتنفس بقوة:

ـ وماذا يعني هذا؟ كيف تريديني أن أعاملك؟ كنت على حق في الليلة السابقة، أليس كذلك؟ لقد خيبت أملك ولم أطارحك الغرام.

ـ أنت خنزير!

ونظرت إليه بعينين تتقدان غضباً، ولكن قبل أن تستطيع التحرك أمسك بجسدها وجذبها نحوه، ويداه على كلتا ذراعيها، وأجبرها على الالتصاق به. وبعد لحظة وجدت نفسها مسترخية بين ذراعيه.

الأمر كان مهيناً، ولكنه كان على حق، فهذا ما كانت ترغب به. كانت تحترق داخلياً، وقال لها بصوت اجش:

ـ أحبيني.. وسأحبك بدوري...

وأحست بحلقها يجف، ماذا تفعل؟ هل فقدت عقلها؟ لماذا تسمح لهذا الرجل بأن يلمسها، كما لم تفعل أبداً مع مايكل؟ ولماذا تذوب بين ذراعيه حالما يضع يديه عليها؟ ثم.. رن جرس الباب!

وشعرت مارلين بالصوت غير المتوقع، وكأن دوش ماء بارد ينصب على مشاعرها المتقدة، وخلّصت نفسها من بين ذراعيه. ووقف ينظر إليها، وعيناه لا تزالان مشتعلتان، مع أن تعبير وجهه بقي ساخراً. وقالت:

ـ إنه.. لا بد أنه مايكل!

ـ تبدين مضطربة آنسة ڤيرسون.. هل فقدت أعصابك؟

وشعرت برغبة في ان تضربه، لأن تؤلمه كما يؤلمها، ولكن لم يكن أمامها وقت، ورن جرس الباب ثانية..

ـ هيا.. ردي على الطارق آنسة ڤيرسون. أسباب وجودي هنا مبررة... أليس كذلك؟.

ـ ولكن... ولكن...

ـ لا تقلقي نفسك!.. لن أخيب ثقة خطيبك بك. فما تفعلينه لا يهمني كل ما يهمني هو الصومعة:

ـ أوه.. الصومعة.. الصومعة.. لقد أصابني الغثيان من سماع هذا الاسم!

ـ الأفضل لك أن تردي على الطارق، وإلا سيبدأ بالتفكير السيء!

وتوجهت نحو الباب لتفتحه، ودخل مايكل غاضباً:

ـ أين كنتي؟... أنتَ.. ماذا تفعل هنا؟

ـ لقد أتيت لمقابلة الآنسة ڤيرسون بخصوص استئجار الصومعة... ظننت أنها قد تفضّل هذه الطريقة!

ـ وهل ستؤجرينه المنزل يا مارلين؟

ـ لست أدري.. وإذا كنتما تتصوران أنني سأقضي الليلة أناقش قضية الصومعة فأنتما مخطئان!

ونظر مايكل إلى جان:

ـ كم مضى عليك من الوقت وأنت هنا؟

ـ بضع دقائق، إنها ليلة رهيبة، أليس كذلك؟

ـ اجل إنها كذلك... هل لنا ببعض الشراب يا مارلين؟

وقال جان وهو يرفع معطفه:

ـ لقد كنت على وشك المغادرة، سنناقش الأمر فيما بعد آنسة ڤيرسون!

ـ أجل... الوقت لا يزال مبكراً. وأنا بحاجة للتفكير.

ـ عمت مساء آنسة ڤيرسون، أنا واثق أننا سنلتقي ثانية!

ورافقته الى الباب، متحاشية النظر إلى عينيه، وأغلقت الباب وراءه وأصابعها ترتجف.

وعادت إلى غرفة الجلوس، لتجد مايكل واقفاً وظهره للمدفأة الكهربائية وكأنما ينتظر منها تفسيراً. وقال:

ـ حسناً.. هذا الرجل أعصابه قوية، لقدومه الى هنا هكذا! لماذا تركتيه يدخل؟ كان يجب أن تقولي إنني المسؤول عن شؤونك!

- إنه يعرف هذا يا مايكل.. ولا يمكنني أن أتحدث معه على باب الشقة، أيمكن هذا؟.. أوه دعنا نغيّر الموضوع.. لقد سئمت الموضوع كله...

- هذا جيد.. كم تعرفينه بالضبط؟ يبدو عليه وكأنه في بيته هنا.

- لا أعرفه جيداً، ولكنه من ذلك النوع الذي يفرض نفسه وكأنه في بيته أينما ذهب.. حسناً أنت تعرف هذا النوع.

- مهما يكن، وجوده هنا لم يعجبني واتمنى أن لا تستقبليه ثانية، وإذا كان بينكما عمل تبحثانه فسيكون في حضوري، وشقتك ليست المكان المناسب. ولديّ مكتب تستطيعان استخدامه للشؤون العملية.

- أنت من بدأ هذا! أنت من كتب له! كنت قد نسيت الأمر في الوقت الحاضر.

- لا أرغب في أن أعود إلى هذا الموضوع يا مارلين.. دعينا نترك الأمر في الوقت الراهن، ولكنني لست راضياً.

ومرت بقية الأمسية ببطء ثقيل، وعندما غادر مايكل في النهاية شعرت مارلين بالراحة. ماذا يحدث يا ترى لهما؟ لم يكن الأمر هكذا بينهما في الماضي. كيف سيستمران في إجراءات الزواج وهما في هذه اللحظات يشعران بالتوتر تجاه بعضهما حول شيء تافه كهذا؟

في الأيام التي تلت، لم تسمع شيئاً عن جان باتلي، كانت تتوقع أن يتصل بها ولكنه لم يفعل مما جعلها تعتقد أنه قد عاد إلى قريته. ومضت الحياة بعدها على طبيعتها، وأتمت مارلين الرسومات للقصة التي تعمل بها. وسرّ ريتشارد بعملها واقترح أن يدعوها ومايكل إلى العشاء، كما في الأيام الماضية، واصطحب ريتشارد زوجته ليديا، حيث أمضوا وقتاً رائعاً.

بعد العشاء غرق الرجلان في حديث مع منتج أفلام صديق لريتشارد وتركا ليديا ومارلين لوحدهما. وقالت ليديا:

- كم أسبوع بقي على موعد زواجكما؟

- ستة أسابيع فقط يا ليديا. سأذهب عند نهاية هذا الأسبوع إلى شقته لأجري أول قياس لثوب الزفاف.

- كم هذا رائع.. أتمنى لو أنني اعود إلى هذه المرحلة، أترقب موعد زفافي وما إلى ذلك.. يبدو لي من المستحيل أن أصدق أنني وريتشارد متزوجان منذ خمسة عشر سنة..

- ولكنها كانت سنوات سعيدة.. ألم تكن كذلك؟

- أجل.. وأين تنويان السكن؟ في المدينة أم الريف؟

- في المدينة طبعاً.. ليس لدينا مكان آخر.

- ولكنني علمت أن مايكل يفاوض لشراء منزل باركلي الريفي، أنت تعرفينه، إنه بالقرب من منزلنا الريفي!

- منزل باركلي! أتعنين المرحوم باركلي، التاجر الذي توفي السنة الماضية؟

- أجل.. أوه يا عزيزتي، ألم يخبرك؟ آمل أن لا أكون أفسدت المفاجأة!

- لا.. أبداً، بالطبع لم تفسديها.. تابعي كلامك!

- لا أعلم حقيقة إذا كان يجب أن أتابع...

- لا تكوني سخيفة يا ليديا.. لقد قلت النصف، ولا مانع من قول الباقي.

- في الواقع أخبرني ريتشارد. لقد شاهد مايكل يتناول الغداء مع السيدة باركلي، إنها ارملة التاجر. كانت زوجته الثالثة، وهي في أواخر الثلاثين من عمرها وتبدو أصغر بكثير. بعدما شاهدهما، تحدث مع مايكل لأنه يحبكما وأنت تعرفين بماذا فكّر.

- أجل... وماذا قال مايكل؟

- لقد شرح له أنه يتولى شؤون العائلة، وأنه كان يقدّم النصح لها

حول بيع المنزل. وأخبرنا بعض الاصدقاء فيما بعد أنها ترغب في بيع المنزل لمايكل.

وأسندت مارلين ظهرها على الكرسي، وذهنها مشغول بما سمعته. لا عجب إذاً أنه لا يريدها أن تحتفظ بالصومعة. هل هذا سبب إصراره على أن تبيعه؟ وهل أساءت الحكم عليه إلى هذه الدرجة؟ وقالت لليديا:

ـ لا تذكري هذا الأمر أمامه. فلا أرغب في أن يظن أنني أتحرى عنه.

ـ بالطبع.. ترى كم سيتركاننا لوحدنا؟

عندما كانا في طريق عودتهما في التاكسي، دفعت يدها في ذراعه ومالت برأسها على كتفه، وتردد لحظة ثم أحاطها بذراعه وضمها إليه. وهمست:

ـ مايكل! هل فكرت في شراء منزل ريفي؟ قرب لندن، أعني..

ـ ولماذا تسألين؟

ـ أتساءل فقط..

ـ هل قال لك ريتشارد شيئاً؟

ـ ريتشارد.. لا.. ولماذا، هل كان يجب أن يقول؟

ـ أتساءل لماذا ذكرتي هذا الليلة.

ـ حسناً يا مايكل. لقد أخبرتني ليديا.

ـ حول منزل باركلي؟

ـ أجل.. لم تكن تعلم أنك لم تقل لي...

ـ آه... فهمت.

ـ الأمر لا يهم.. إنني فقط آسفة لأنني أفسدت الأمور بإصراري على الصومعة.

ـ وهل تعنين.. أنك غيرتي رأيك؟

ـ غيرت رأيي؟

ـ أجل.. حول الصومعة.

ـ آه فهمت.. امتلاك منزلين ريفيين أمر سخيف، أليس كذلك؟

ـ لا نستطيع تحمّل أعباء اثنين، إضافة إلى أن منزل باركلي سيستنفذ كل العشرين الفاً التي سنحصل عليها من الصومعة.

وتصلبت أعصاب مارلين بحدة، ودفعت نفسها مبتعدة عنه، وبدا الخوف في صوتها وهي تقول:

ـ أتعني أنك تتوقع مني أن أشتري منزل باركلي!

ـ وماذا تعتقدين أنني أعني.. بحق السماء؟

ـ ولكن لا يمكن أن تكون جاداً! ألهذا كتبت لجان باتلي؟ ألهذا اتصلت به دون علمي؟ ألهذا ثار اهتمامك بالموضوع؟

ـ مارلين أرجوك، لا تثيري مشكلة حول هذا! فالسائق يسمع ما تقولينه!

ـ وهل تعتقد أن الأمر يهمني؟ وهل تعتقد أن ما يفكر به الآخرون يزعجني؟ أوه يا مايكل.. لقد أغضبتني من قبل، ولكن لا يمكن مقارنتها بهذه المرة! كيف تستطيع فعل هذا! كيف تستطيع!...

ـ مارلين.. لا تجعلي من الأمر مأساة! بعد أن نتزوج ستصبح الصومعة لي كما هي لك تذكري هذا!

ـ ولكننا لن نتزوج يا مايكل...

وانتزعت خاتم الخطوبة بغضب ووضعته في يده:

ـ خذ خاتم خطوبتك! ارهنه! فربما تحصل على ما يكفي لدفع عربون منزل باركلي لتشتريه لنفسك!

وتورد وجه مايكل من الغضب، واستطاعت مارلين أن تشاهد علامات غير مرضية في خديه. ودقت على الحاجز الزجاجي للسيارة كي تلفت انتباه السائق ليتوقف، وعندما فعل قفزت خارجة وقبل أن

www.elromancia.com

يدرك مايكل ماذا فعلت أشارت إلى السائق بمتابعة سيره. وقبل أن يتمكن مايكل من ايقاف السيارة ثانية، كانت قد اختفت في شارع جانبي.

في شقتها، في وقت لاحق، رن جرس الهاتف باستمرار، ولكنها رفضت أن تجيب. واستلقت ووجهها إلى الأسفل على فراشها تبكي كما لم تبكي من قبل.

في الصباح التالي كانت عيناها منتفختان ويبدو عليها التعب، ولكنها ذهبت إلى المكتب، وعلم ريتشارد فور مشاهدتها أن هناك أمر ما. واقترب من طاولتها وسحب النظارة السوداء التي وضعتها لتخفي عينيها وقال:

- تعالي إلى غرفتي!.. أريد التحدث إليك.

لم تكن ترغب في التحدث إلى أحد، ولكنها لا تستطيع رفض طلب رب عملها. وهكذا دخلت وإياه إلى غرفته، وأجلسها في مقعد مريح، وقدّم لها كوباً من القهوة. وقال:

- والآن! ماذا حدث؟ لقد فهمت من ليديا أنها قد أخرجت القط من كيسه الليلة الماضية.

- أشكرها على ما فعلت.. أوه أنت تعرف القصة كلها، فقد اتصل مايكل بياتلي لأنه يريد ثمن الصومعة لشراء منزل باركلي.

- ماذا؟

- لقد سمعت ما قلته، مايكل يريد المال لأغراضه الخاصة. عندما أخبرتني ليديا.. افتتنت بالفكرة! واعتقدت في الواقع أنه ينوي شراء المنزل الآخر ليفاجئني به. وكنت سأقول له إنني مستعدة لبيع الصومعة. ونضع المال للطوارىء وما الى ذلك. لم أحلم ابداً...

- فهمت.. مارلين، حتى ولو...

- حتى ولو.. لا شيء.. لا أريد التحدث بالموضوع.

- انت لا تلبسين خاتمك!

- لقد فسخت الخطوبة!

- اوه.. لا.. انظري إليّ يا مارلين.. لا أستطيع منع نفسي من التفكير أن هذا كله بسبب غلطة مني. فلو لم أشاهد مايكل يتغدى مع السيدة باركلي، وأخبرت ليديا بالأمر...

- اوه.. لا تلم نفسك ريتشارد. أنا في الواقع سعيدة. رغم أنه لا يبدو عليّ هذا، ولكن.. حسناً.. الأمور لم تكن على ما يرام بيني وبين مايكل منذ أن ورثت الصومعة.

- ولكن مايكل قال لي ليلة البارحة أن المسألة سويت!

- لا.. لم تُسوى.. في الواقع.. أنا أفكر بالعودة إلى هناك!

- ماذا؟ أتعنين لتعيشي هناك؟

- لنقل.. في عطلة.. انظر يا ريتشارد.. تستطيع أن تفهمني.. أليس كذلك؟ أعني.. لو بقيت هنا، فسيحاول مايكل أن يتصل بي. لا يمكن له أن يصدق بأنني تخليت عنه بكل بساطة.

- وهل تخليت عنه؟

- أجل، ولا أنوي التراجع عما قلته!

- ولكن يا مارلين.. إذا كنت تحبين مايكل...

- هذه هي المسألة بالضبط. انا لا أحبه. ولا أعتقد أنني أحببته ابداً، لقد استغلني. وهذا كل ما كان بيننا.

- أوه يا مارلين.. لا يمكن أن تكوني جادة! لماذا؟.. لقد كنت اشاهدكما معاً، لقد كنتما زوجاً رائعاً..

وابتسمت مارلين بسخرية «ربما كنا كذلك، ولكن الناس لا يتزوجون لأنهم يبدون رائعين مع بعض».

- أعلم هذا ولكن ما أعنيه...

- أعرف ماذا تعني يا ريتشارد، ولكنني آسفة، لن أغير رأيي. لقد انتهى الأمر. وهل تعلم، في أعماق قلبي.. أنا سعيدة.

☆ ☆ ☆

١٠ - الهروب إلى العذاب

بعد اسبوع، قادت مارلين سيارتها نحو كولنسايد في الريف شمالاً.. كانت تنوي أن تبتعد قبل هذا الوقت، ولكن كان أمامها عمل لتنهيه، وكانت شاكرة لريتشارد لمساعدته لها وتفهمه. كانت تعلم أنه يشعر بالأسى حول المسألة كلها، ولا يستطيع تقبل واقع أنها ومايكل قد انفصلا نهائياً.

ولكن مارلين لم تشعر بأي شك حول المسألة. بعض الأحيان كانت تشعر براحة لأنها أصبحت حرة مرة أخرى. وعندما تعود فعلاً إلى لندن لن يكون ذلك لترى مايكل. كانت تنظر إلى الوضع بشكل مختلف. فهو ينظر إلى خصامهما بأنه مجرد تضارب آراء حول الصومعة، ولا يرى أي خطأ بما كان يحاول أن يفعله. ولكن بالنسبة لمارلين كان هذا شاهداً على أنانيته وغروره، والشكوك الصغيرة التي ازعجتها من قبل قد تفجرت لتصبح كرة ضخمة من الاستياء.

السفر شمالاً لم يكن سيئاً كما كان قبل الميلاد. فدفء الشمس غير المتوقع أذاب كثيراً من الثلج المتراكم، وسبّب هذا سيولاً في بعض الأماكن. وأمضت ليلة في مدينة قريبة. ثم تابعت سيرها نحو كولنسايد في الصباح التالي.

www.elromancia.com

ووصلت الى فندق «وايت بيل» في وقت متأخر من بعد الظهر، بينما كان الضوء الرمادي للنهار يذهب والمساء يحل. وبدا كل شيء لها مختلف بشكل ما. الأشجار وقد خلعت ثوب البياض، تظهر قاتمة أمام سفوح التلال التي يغطيها الثلج. كان هناك الكثير من الثلج من حولها، إلا أن الطريق كانت واضحة، وفناء الفندق نظيف وجاف تقريباً.

واستلزمها الكثير من الجرأة لتوقف سيارتها أمام الفندق ولتسير باتجاهه، وخاصة لعلمها أنهم إذا لم يستقبلوها هنا فلا مكان آخر لها. فالصومعة لا كهرباء فيها أو تدفئة، إضافة إلى أن لا مكان لها هناك لتنام فيه. وهل تنام في فراش انجلو كيرتني؟

ردهة الاستقبال كانت فارغة، وقرعت الجرس الموجود على الطاولة، وبعد دقائق، فتح باب الغرفة وراء الطاولة وخرجت هيلين باتلي.. واتسعت عيناها بالدهشة عندما شاهدت الطارق، واقتربت من الطاولة متسائلة «نعم؟».

- أرغب في غرفة.. غرفتي القديمة لو سمحتي!
- وهل تنوين البقاء طويلاً؟
- لست متأكدة.. وهل هذا مهم؟
- قد لا يكون عندنا غرفة.
- ولكنك في المرة الماضية قلتي...
- كان هذا قبل الميلاد... وعليّ أن أبحث الأمر.
- حسن جداً.. سأذهب إلى المقهى لأشرب شيئاً.
- طبعاً.

جفري كان لا يزال هناك، ينظف الأكواب. وبدا أيضاً مندهشاً لرؤيتها.

- أهلاً بك.. أنا مسرور برؤياك!
- أنا سعيدة لشعورك هذا، هل لي بشراب دافيء أرجوك؟ فأنا بحاجة إليه. ولكن لماذا ما زلت هنا؟ ظننت أن الجامعة تبدأ الدروس في أواخر كانون الثاني.
- هذا صحيح، ولكن الأمور كانت صعبة هنا وعرضت أن أبقى.
- وهل كل شيء على ما يرام؟ هل هناك أحد مريض؟ أو أي شيء من هذا...
- في الواقع إنها جيني...
- جيني.. كارينغ؟
- صحيح.. أنت تعرفينها أليس كذلك؟
- طبعاً.. ما بها؟
- حسناً.. أنت تعرفين أن صحتها ضعيفة، ولم تكن كذلك أبداً.. كانت دائماً تتعرض للسعال والرشح. وفي ظروف الطقس هذه ازدادت حالتها سوءاً، لقد أصيبت الأسبوع الماضي بنزلة صدرية مما أثر على قلبها. وهي طريحة الفراش الآن، ولا يبدو أن صحتها جيدة.
- اوه.. لا.. كم هذا فظيع! أعتقد أن شقيقك قلق عليها...
- كلنا قلقون. بالطبع جان أكثر. إنه متعلق بها كثيراً... ولكن أخبريني ماذا تفعلين هنا؟ هل عدتِ لتبقي هنا؟
- لقد.. أتيت لأبقى بعض الوقت.. هكذا كنت أنوي. على الأقل إلى أن تصبح الصومعة صالحة للسكن، ثم...

وسمعت مارلين شخصاً يقترب منهما. واستدارت، وقد تورددت وجنتاها، وواجهت نظرة جان باتلي الثابتة، وبدا غاضباً، وشعرت بتعرق اطرافها بسبب تعبيرات عينيه. وقال لها:

- ماذا تفعلين هنا؟

وأجفلتها كلماته لقسوتها، وهزت رأسها بيأس «أنا.. أنا...».

ـ لا تقولي إنك أتيت لتري ممتلكاتك ثانية! ليس بعد محادثتنا في لندن!

ـ في الواقع لقد أتيت لأعيش هنا!

ـ لتعيشي هنا؟ ما هذه السخافة؟ لقد فهمت أن خطيبك...

ـ لنترك خطيبي خارج الموضوع! ما أفعله هو من شأني وحدي، ولوحدي فقط!

ورد عليها جان بغضب:

ـ هكذا غير ممكن عندما يتعلق الأمر بالناس الآخرين. انظري، إذا كنتي تريدين الإقامة في الفندق، فلا مانع، سأتدبر الأمر، ولكن دعي الصومعة جانباً إلى أن تفكري جيداً بأحد العرضين اللذين قدمتهما.

ـ اعتقدت أنك في مثل هذه الظروف لن تعترض أين سأقيم... لقد أخبرني جيف عن جنيفر، وأنا آسفة جداً، كيف حالها؟

ـ جينفر مريضة، ولكن لا تدعي هذا الأمر يتعارض مع مشاريعك!

ـ ألا أستطيع أن أراها؟ أحب أن أراها!

ـ هذا ممكن.. لقد قالت هيلين إنك تريدين استرجاع غرفتك!

ـ أجل.. إذا كان ممكناً.

ـ اعتقد أن هذا ممكن، وأنت تعرفين أوقات الوجبات بالطبع...

في الصباح التالي استيقظت مارلين وشعور بمصيبة ما يخيم عليها. في البداية، قبل أن تصحو تماماً، لم تكن لتتصور سبب هذه المشاعر، فها هي الآن في كولنسايد، وفي فندق «وايت بيل» ومشاعرها أتت من واقع أنها في الليلة الماضية، اعترفت لنفسها لأول مرة أنها تحب جان باتلي...

وتقلبت في الفراش، ودفنت وجهها في الوسادة، محاولة تجميع

أفكارها. كيف سمحت لمثل هذا أن يحدث؟ وكيف وقعت في حب رجل يعاملها بشكل مستمر دون أدب أو احترام؟ والأكثر، رجل ينظر إليها ببساطة على أنها وسيلة لتحقيق أهدافه.

وجلست في الفراش ووجهها بين يديها، وشعرها ينسدل مثل الستارة السوداء على كتفيها. يجب أن تستعيد سيطرتها على نفسها. لا يجب أبداً أن يشك لحظة بما تشعر، وإلا لكان إذلالها كاملاً.

وكانت مستغرقة جداً بأفكارها حتى أنها لم تسمع قرعاً خفيفاً على باب غرفتها، وعندما فتح الباب، استدارت بدهشة وهي تتوقع أن ترى جيسي الخادمة.

ولكن من دخل غرفتها كان جان باتلي، وأغلق الباب وراءه، ووقفت مارلين جامدة للحظات، بينما كانت عيناه تتجولان على طول جسدها وهي في غلالة النوم، ثم شهقت وأمسكت بالروب. فقال لها:

ـ لقد قرعت الباب.

ـ ماذا تريد؟ ام أن هذا نوع من سلوك السيد المهذب.

ـ لا سبب لك أن تقولي عني هذا.

ـ ألا يجب أن أقول؟ لماذا أنت هنا؟ هل هذه عادة قديمة في الريف لم أسمع بها؟.

ـ هل لك أن تتوقفي عن تجريحي! ولا ترفعي صوتك. لا أريد أن يعرف كل من في الفندق أنني هنا.

ـ أراهن أنك لا تريد!

واستدارت عنه وهي ترتجف، وقطعت الغرفة نحو النافذة ووقفت.

ـ مارلين، استمعي الي، اللعنة عليك! ليس لديّ وقت، ولكنني أردت التحدث إليك سراً قبل أن تري جينفر.

ـ وهل.. سأراها اليوم؟

- نعم.. لقد كنت في بيتها الليلة الماضية، وعندما أخبرتها أنك هنا سرّت كثيراً، إنها تحبك...

- وهل انت خائف أن أخبرها عما حدث بيننا في لندن؟

- لا.. لم أظن أنك ستكونين قاسية إلى هذا الحد. كل ما في الأمر أنني لا أرغب في أن تزعجيها بالقول إنك لم تتخذي قراراً نهائياً بعد حول الصومعة!

«الصومعة!» بالطبع هذا هو سبب رغبته بالمنزل.. ليسكن فيه بعد أن يتزوج من جينفر. وقال جان:

- هذا صحيح.. اتركي الأمر جانباً. وإذا سألتك ماذا تفعلين هنا، قولي إنك عدت لزيارة المكان. ولا أظن أنها قد تضغط عليك، إنها ضعيفة جداً!

- فهمت.. أنا.. أنا أحياناً أتمنى لو أنني لم أرث هذا المكان!

- وكذلك أنا.

ورفعت رأسها وهي تكبت الألم الذي سببّها كلماته.

- لماذا تكرهني إلى هذه الدرجة؟

- أكرهك؟ أكرهك؟ يا إلهي! أنا لا أكرهك! قد أستخدم صفات أكثر فعالية، ولكن أن أكرهك ليس واحداً منها!

- هل أفهم من هذا أنك تتمتع حيث توجد المتعة، أليست مغازلتك لامرأة من الواضح أنك - تكرهها - أمر غير مقبول؟

وتقدم نحوها خطوة ثم توقف، وقال بخشونة:

- جسدياً تملكين كل شيء. ولهذا أرغب بك، أعترف بهذا. كل حواسي الآن تطالب بأن أحصل عليك، لهذا أريدك أن تبتعدي عن هنا، وعن الصومعة، وعني...

- وهل هذا بسبب جنيفر؟

- بسبب جينفر.. اجل! ولأنك تلعبين لعبة لا قانون لها!

- وماذا تعني؟

- أعني السخرية بالخطوبة بينك وبين مايكل كرومويل!

- مايكل وأنا لم نعد مخطوبين!

- أنت لست جادة!

- بالطبع جادة، لقد كانت كما قلت، لقد كانت سخرية.

- اوه يا مارلين! لأجل الله بيعيني الصومعة! وانتهي من هذا المكان الآن وللأبد.

- وهل تريد ابتعادي، بهذا القدر؟

وأغمض جان عينيه للحظات وكأنما ليبعد صورتها عنه، ثم تقدم نحوها، وأخذ إحدى يديها ورفعها الى فمه، وقبّلها. كانت شفتاه دافئتان وحنونتان، فارتجفت. وقال لها بلطف:

- أرأيتي... أنا لست متوحشاً على الدوام كما تظنين.. هل أنت خائفة مني؟

- خائفة من نفسي، ربما..

- أنت تخيفيني... أجل يا مارلين، أنت تخيفيني! عندما أكون معك، أرغب في ان أنسى واجباتي، أرغب في أن انسى ما يتوجب علي.

وبتنهيدة عميقة، أبعدها عنه، وبينما هي واقفة جامدة ترتجف حتى أعماقها، سار نحو الباب وقال بخشونة:

- اعملي بنصيحتي.. غادري كولنسايد! قبل أن يحدث شيء نندم عليه كلانا.

وتألمت مارلين، وفي أعماق قلبها أرادت أن تؤلمه، فقالت:

- ماذا تعني؟ هل سيعيد التاريخ نفسه؟ هل أنت فعلاً ابن أبيك؟

وحدق بها بمرارة لعدة لحظات، ثم دون أن يقول شيئاً، خرج..

www.elromancia.com

وصفق الباب وراءه. وغرقت مارلين في فراشها.. تدفن رأسها في يديها.. لماذا؟ أوه.. لماذا قالت ما قالته؟ إنه شيء لا يمكن غفرانه! ولن ينسى جان أو يسامح. ومسحت الدموع من عينيها بأصابع مرتجفة.

لقد هربت من لندن، من كل الأوضاع هناك حتى لا تتعامل معها. وكيف لها أن تهرب من كولنسايد لنفس الأسباب؟ ألن تتوقف عن الهرب أبداً؟

بعد أن تناولت الإفطار فيما بعد ذلك الصباح، تقابلت مع جفري في الردهة. فقال لها:

- اوه.. مرحباً.. كنت أفتش عنك.. هل أنت جاهزة؟

- جاهزة؟.. جاهزة لماذا؟

- للذهاب معي. طبعاً.

- للذهاب معك؟

- إلى بيت جينفر. في الناحية الاخرى من القرية. لقد طلب مني جان أن آخذك إلى هناك. ألا تريدين رؤية جينفر؟

- طبعاً أريد. هل سنذهب الآن؟

- إنه أفضل وقت، فعليّ أن أعود لأفتح المقهى عند الحادية عشر والنصف.

كان منزل جينفر يماثل بحجمه الصومعة. وفيه تدفئة مركزية ويكسو ارضه السجاد في كل مكان. ودخلا الى ردهة مكسوة بخشب السنديان، وبعد أن أغلقا الباب وراءهما أقبلت امرأة من غرفة لتستقبلهما، لم تكن امرأة شابة، وقدّرت مارلين أنها في اوائل الستينات، ولكن وجهها كان جميلاً وشاباً، شعرها طويل ومجدول وعقدته خلف رأسها، وخمنت مارلين أنها والدة جينفر. ولكن جيفري

خيّب ظنها عندما قال للمرأة «مرحباً يا أمي.. أحب أن أقدّم لك مارلين ڤيرسون. مارلين.. هذه أمي!»...

☆ ☆ ☆

www.elromancia.com

١١ ـ تركت قلبها ورحلت . . .

القول بأن مارلين صعقت، ليس الوصف الدقيق لردة فعلها. وحدقت بالمرأة وكأنها غير مصدقة، ولم تلاحظ المرأة هذا وهي تصافحها بأدب. وقالت السيدة باتلي بابتسامة خفيفة:

ـ إذاً أنت مارلين، لقد تحدثت عنك جينفر كثيراً . . .

ـ أنا . . أنا آسفة لما يبدو عليّ من صدمة، لقد اعتقدت أنك والدة جينفر!

ـ والدتها توفيت منذ أعوام. جيفري . . السيد كارينغ ينتظرك، لقد أشار إليّ أنك قد ترغب بالانضمام إليه.

ووضع جيفري يديه في جيوب سترته وقال «حسناً . . أراك فيما بعد مارلين» ورافقت مارلين السيدة باتلي عبر الردهة إلى مكتبة مليئة بالكتب، وقالت السيدة لها بلطف «اعتقدت أن من الأفضل تناول القهوة قبل أن تري جينفر، اعذريني لحظة وسأحضر القهوة».

وابتسمت مارلين وتركتها المرأة لوحدها، وعندها فقط أطلقت تنهيدة عميقة. لم تكن تحلم أبداً أن تكون والدة جان لا تزال حية. ولتجد إنها هنا في منزل جينفر، كان أمراً مثيراً للذهول. بأية صفة تعيش هنا؟ وإلى كم، من الوقت؟

www.elromancia.com

وعادت السيدة باتلي تحمل صينية عليها ركوة القهوة وفنجانين. ووضعت الصينية على طاولة قرب النافذة، وسألتها المرأة:

ـ مع الحليب والسكر؟

ـ الحليب فقط شكراً لك.

وأخذت فنجان القهوة وجلست حيث أشارت لها السيدة باتلي. وشعرت أن هدف هذه المقابلة شيء أكثر من تقديم واجبات الصباح لها. وتوترت أعصابها، فبعد ما عانته من جان ذلك الصباح لا يمكن لها أن تتحمل شيئاً من والدته.

ـ قال لي جان إنك تنوين إعادة فتح الصومعة.

ـ أجل.. أنا أكتب، وفي الواقع عملي الآن لا يشمل الكتابة، ولكنه عملي الأصلي، وأنا محظوظة إن أجد مكاناً أعمل فيه.

ـ فهمت.. وستستخدمين الصومعة لهذا الغرض؟

ـ أجل..

ـ وهل أنت واثقة أنك ستحبين الأقامة هناك لوحدك؟ إنه منزل كبير لفتاة شابة مثلك.

ـ البقاء وحدي لا يزعجني. في الواقع أنه أول منزل أعيش فيه لوحدي. وأنا اتوق شوقاً لهذا.

ـ هل كنت تعرفين عمك الكبير؟

ـ لا لم أكن أعرفه.

ـ ولكنك عرفت عنه قليلاً منذ أتيتي إلى هنا؟

ـ اوه أجل.. هذه غرفة جميلة. هل يعمل السيد كارينغ هنا؟

ـ اجل.. إنها مكتبه. إنه يعني بشؤون مستأجريه هنا. فهو يمتلك أملاكاً كثيرة...

وأنهت مارلين قهوتها ونهضت واقفة، وهي تقول:

ـ إنها قهوة لذيذة.. شكراً لك سيدة باتلي.. والآن هل أستطيع أن أرى جينفر؟

ـ أعتقد هذا.. تعالي من هنا..

وصعدتا درجاً يلتف من الطابق الأرضي صعوداً بشكل جميل، واقتربتا من غرفة عند نهاية الدرج. في الداخل كان الجو جو عيادة، تعبق فيها رائحة المطهرات، عدة زجاجات دواء موضوعة قرب السرير الكبير، وجينفر راقدة بين بياضات السرير.

منذ أن رأتها مارلين آخر مرة، بدت وكأنها كبرت في السن كثيراً. نحولها الذي لازمها على الدوام ازداد كثيراً. ولكنها عندما شاهدت مارلين، أضاءت عيناها، وحاولت رفع نفسها على أحد كوعيها لتراها أكثر. وصاحت بصوت ضعيف «مارلين! لقد أتيتي لتريني؟ كم هذا لطف منك. اجلسي، ارجوك يا نومي، كرسي لمارلين!».

ـ لا تثيري نفسك يا جينفر، وإلا ستبدأين بالسعال ثانية، سأحضر لها كرسياً هل تريدين شيئاً آخر؟

وسألتها مارلين وهي تميل نحوها «كيف حالك؟».

ـ كما ترين بالطبع.. وكيف حالك أنت؟ تبدين بصحة جيدة. لقد دهشت وسررت عندما أبلغني جان بأنك رجعت. هل أتيتي لتسكني في الصومعة؟

ـ لا.. بل في الفندق.. أردت فقط أن أرى إذا كل شيء على ما يرام هنا.

ـ فهمت.. وهل خطيبك معك؟

ـ لا.. مايكل في لندن.. في الواقع... تواجهنا بعض الصعوبات، ولا أعلم إذا كنا سنتزوج أم لا.

ـ أوه.. أنا آسفة، ولكنني متأكدة أن كل شيء سيصبح على ما يرام.

وابتسمت مارلين، ثم سألتها جينفر فجأة:

ـ هل ستقررين الاحتفاظ بالصومعة؟ أنا.. لقد أردت أن أتكلم معك حول الأمر.

ـ أتظنين أنك تستطيعين أعني أن تتكلمي كثيراً؟.. أخبريني عن نفسك. ماذا كنتي تفعلين؟

ـ لم أفعل شيئاً له أهمية.. مارلين أرجوك، أريد التحدث عن الصومعة. يجب أن يكلمك احد حولها.. جان لن يفعل.. ومع أن نومي قد تحاول إلا أنها لن تستطيع شرح الأمر لك.

ـ أنا أعرف.. أن.. عمي الكبير. هو والد جان.

ـ لقد قال جان إنه أخبرك، ولكن لا أعتقد أنك تعرفين القصة.

ـ ألا تظنين أنه لا يجب أن تقولي لي شيء لا يخصني؟

ـ ولكنه يخصك، وهنا المسألة. قبل كل شيء هذه المرأة ليست والدة جان.

ـ ماذا؟

ـ نومي والدة جيفري وهيلين، كانت زوجة أبيه الثانية. لقد طلّق أمه بعد أن ولدته. ولا تزال حية، ولكنها لا تعيش هنا.

ـ هل تعنين أن والده طلق والدته بسببه؟

ـ نعم.. ولا.. أترين.. كان زمن الحرب وانجلو كيرتني كان ضابط بحرية. وعاد ليزور موطنه لفترة قصيرة ثم يسافر، والتقى بوالدة جان وأحبا بعضهما.. ولكنها كانت متزوجة، وليس لها أطفال، وعندما عاد انجلو إلى عمله وجدت ليندا، أم جان، نفسها حامل، وخافت، كما كل النساء في مثل وضعها، وخاصة أن زوجها كان أوسترالياً، ولا يمكن أن يكون أب الطفل. هل تفهميني؟ حسناً ربما كانت غبية لأنها لم تنتظر انجلو حتى يعود. وعندما علم زوجها بالأمر، ترك الجميع يؤمن أن الطفل طفله. ثم ولد جان. وعندما رآه جن

جنونه، وأخذ يتهم زوجته بشتى الاتهامات ثم حرمها من الطفل، ولم تستطع أن تبرهن أن الطفل ليس ولده وهكذا احتفظ باتلي بالطفل. واضطرت أمه لمغادرة كولنسايد.

ـ ولكن عندما عاد انجلو.. هل اكتشف الأمر.

ـ لقد عاد انجلو بعد سنتين، وكانت والدة جان قد توظفت كممرضة في أحد المستشفيات، وكان جان مع والده الآخر. فلم يكتشف الحقيقة إلا بعد وقت طويل.

ـ ولكن كيف اكتشف الحقيقة؟

ـ لقد بدأ الشبه بينهما يصدم الناس، فلجان نفس ملامحه، ونفس نيته، وبدأ الناس يتكلمون، ففقد السيد باتلي أعصابه وباح بكل شيء.

ـ وبذلك الوقت كان قد تزوج وأنجب طفلين آخرين.

ـ أجل.. وتستطيعين أن تتصوري شعور جان. وذهب ليرى أمه، وعلى الرغم من بعد السنين بينهما تعرفا إلى بعضهما فوراً.

ـ والسيد باتلي...

ـ لقد احتفظ بجان كولد له وعندما مات قبل ثلاث سنوات، جعل من جان وريثه، ولكن بحلول هذا الوقت اصبح جان وانجلو قريبان من بعضهما.

ـ إذاً، فقد كتب انجلو وصيته قبل أن.. أن يعلم...

ـ أجل.. وكان لهذا أثر شديد على والدة جان. ولهذا أردتك أن تعرفي لماذا يرغب جان بشراء الصومعة، فوالدته رفضت العودة الى هنا ورفضت أن تسكن في الفندق، ولكن في منزل انجلو، المنزل الذي يخص جان، كان شيئاً اخر لها.

ووقفت مارلين على قدميها وهي تترنح:

ـ أتعنين أن جان يريد الصومعة لأجل والدته؟

ـ هذا صحيح.

ـ ولكن.. لو أخبرني فقط...

ـ لن يفعل أبداً، أعلم هذا. لن يتوسل، فهذه ليست طريقته. يريد أن يتم قرارك دون تدخل العواطف.. ولكنني لم أستطع أن أدع هذا يحدث... دون أن أحاول أن أشرح لك!

ـ أنا سعيدة جداً لأنك فعلتي هذا. كان عليّ أن أعرف أن وراء عرضه السخي شيء اكثر من توقه للامتلاك.. لا تقلقي جان سيحصل على المنزل.

ـ انت لن.. أعني...

ـ لن أقول له لا... لن أخون ثقتك بي.

ـ شكراً لك.

ـ بالمناسبة لماذا السيدة باتلي هنا؟

ـ أم جيفري؟.. إنها مدبرة منزل والدي.

ـ وهل تعرف...؟

ـ تعرف القصة.. أجل، فهي ووالدة جان من نفس العمر. واظن أنها تشعر بالاستياء أحياناً بالنسبة للأمر.

وفتح الباب فجأة ودخلت السيدة باتلي وقالت بلطف:

ـ اعتقد أن الآنسة ڤيرسون قد تأخرت في زيارتك يا جنيفر، فالطبيب قد حدد موعد الزيارات.

ـ لا بأس يا نومي.. مارلين وانا قد أنهينا حديثنا.. أليس كذلك يا مارلين؟

ـ أجل بالطبع.. والأفضل أن أذهب، سأراك ثانية يا جينفر!

ورافقت السيدة باتلي مارلين نحو الردهة، وكان جيفري بانتظارهما. وفي السيارة أثناء عودتهما إلى الفندق، نظر اليها جيفري متسائلاً:

ـ تبدو عليك.. الصدمة، بطريقة ما. ماذا حدث؟ هل حالة جينفر سيئة؟ كان يجب أن أصعد لأراها، ولكنني لست بارعاً بهذه الأمور.

ـ لا.. لا.. جينفر على حالها... أعتقد أنني أشعر بالبرد، هذا كل شيء.

بعد الغداء، سعت مارلين إلى الهدوء في غرفتها، فقد أجهدها الحوار العادي الذي دار بينها وبين المسنين الأربعة، وشعرت بالتعب جسدياً وعقلياً. كما أنها بحاجة إلى وقت للتفكير أيضاً، وقت لتقرر ماذا يجب أن تفعل وأين ستذهب لو غادرت كولنسايد.

ووقفت عند النافذة، تحدق إلى الخارج نحو الباحة الخارجية للفندق. إذا كانت لا ترغب في أن تكره نفسها لما تبقى من عمرها، فما عليها سوى العودة إلى لندن فوراً. أي مكان آخر كان التفكير به مستحيلاً. لقد أتت إلى هنا لتهرب من وجود مايكل، ولكن بالمقارنة مع هذا الوضع هنا، فتصرفات مايكل بدت أشياء صغيرة تستطيع السيطرة عليها بسهولة.

وعلى كل الأحوال فإنه قرار ستكون سعيدة لأن تتخذه. وبعد أن اكتشفت حقيقة مشاعرها تجاه جان، لم يعد من الإنصاف لكليهما أن تبقى هنا بأية حال. وماذا قال لها عندما كان يحثها على الذهاب؟ بأنه قد وجدها جذابة فقط؟ وأنه لا يثق بنفسه لهذا السبب؟ أم أن الأمر بكل بساطة أنه كان يستخدم كل وسيلة ممكنة لإبعادها عن المنزل؟

ليس أمامها أية طريقة لتكتشف الحقيقة، على كل، ففي الوقت الحاضر لا يستطيع أبداً أن يترك جينفر. وفي نهاية ذلك اليوم كانت قد اتصلت بالمحامين، ماكدونال وبرايسون وحددت معهم موعداً في الصباح التالي. ثم وضبت كل أغراضها ما عدا التي ستستعملها تلك الليلة وهبطت لتتناول العشاء. يجب عليها أن تغادر باكراً، قبل الإفطار، حتى تتجنب التفسيرات غير الضرورية. وسيقوم المحامون بالتفسير عنها.

وبالكاد أكلت من طعامها، وبقيت هكذا إلى أن حضرت الخادمة لتنظف الطاولة فابتسمت لها وخرجت والتقت في الممر بجان آتياً من الخارج وشعره مليء برذاذ الثلج، وقال لها:

ـ إنها تثلج ثانية. هل تريدين وضع سيارتك في الكاراج؟

ـ لا.. شكراً.

ـ أقترح عليك إعادة التفكير بالأمر، فقد لا تستطيعين إدارتها عندما تحتاجين إليها.

ـ لا تقلق سيد باتلي فأنا أتركها دائماً في الخارج تحت الثلج، ولا تتأذى..

وسارت نحو الدرج فناداها «مارلين!» وأوقفها صوته واستدارت على مهل لتواجهه «نعم؟».

ـ هل رأيت جينفر هذا الصباح؟

ـ نعم... جفري أخذني إلى هناك.

ـ أعلم، لقد طلبت منه هذا. ما رأيك بها؟

ـ انا.. إنها.. لقد صدمني منظرها.

ـ هل ذكرت الصومعة؟

ـ اجل.

ـ وماذا قلتي لها؟

ـ انا.. لقد قلت إنني أتيت لأتفحص المنزل، كما قلت أنت..

ـ هل قلتي لها عن فسخ خطوبتك؟

ـ ليس بالضبط.. انظر، أرح بالك، لم أقل لها شيئاً يسيء إليها.

ـ تعالي لنتناول شيئاً نشربه!.

ـ أفضل أن لا أفعل.

ـ ولماذا؟

ـ لا أظن أن هذا مناسباً.

ـ ولماذا؟ ليس لديّ دوافع خفية وراء الطلب، وهل يجب أن أتوسل إليك دائماً لما أريده منك..

ـ لديّ أشياء أريد عملها.

ـ هل زرت المنزل اليوم؟

ـ لا.

ـ ألم تكوني مهتمة به؟

ـ أوه جان أرجوك؟

لم تستطع أن تواجهه أكثر دون أن تقول له ما عرفته. ودون كلمة أخرى ركضت إلى فوق وتركته في الردهة يحدق بها.

في الصباح.. في الساعات الباردة قبل الفجر. غادرت مارلين الفندق. ولارتياحها دار محرك سيارتها دون مشكلة. وثلج الأمسية السابقة تحول إلى جليد، وسارت في طريقها دون أن تنظر إلى الخلف، وقد شعرت بثقل في قلبها يكاد يخنقها.

بعد عدة أشهر من هذا دخل ريتشارد غراهام إلى مرسمها قائلاً:

ـ مارلين! أين الرسومات لسلسلة ألف باء؟

وفتشت مارلين في كومة من الرسومات على لوح الرسم، وقالت:

ـ ها هي.. تبدو منزعجاً.. ما الأمر؟

ـ ليس هناك شيء يا عزيزتي.. إنه السيد هاردل، يريد أن يراها بنفسه. يبدو أنك كوّنت لنفسك سمعة جيدة.

جون هاردل هو مدير إداري لمجموعة من الشركات تتعاون مع شركة منشورات ريتشارد غراهام. وقالت مارلين محاولة أن تكون متحمسة بالقدر الذي يريده ريتشارد.

ـ كم هذا رائع!

في الماضي، كان مثل هذا الخبر يجلب لها السرور العظيم،

www.elromancia.com

ولكن مؤخراً أصبح عملها بالنسبة لها مجرد وسيلة لمنع تفكيرها بأشياء أخرى.

وأخذ ريتشارد الرسومات وخرج، وعادت مارلين إلى عملها، ترسم صوراً لتزيين سلسلة قصص، عندما تُصوّر كفيلم ستشكل أول عمل لها في مجال الصور المتحركة، وهو مشروع جديد يحاول ريتشارد الدخول فيه وكان قد اقترح الفكرة على مارلين، وأبلغها أنه سيستخدم واحدة من قصصها الخاصة لهذه التجربة. ولم تمانع مارلين، على الرغم من أن كل لحظة تستوجب الانتباه الى كل تفصيل، وكانت تغرق نفسها في العمل حتى تستطيع أن تنسى المصاعب العاطفية التي كانت تهدد في وقت ما بتدميرها.

ومع هذا، ففي صمت شقتها، كان من المستحيل عليها أن تنسى... وعلمت أن الوقت وحده سوف يخفف من الوحشة التي لا تحتمل والتي تلف حياتها.

منذ مغادرتها الريف، لم تسمع شيئاً عن كولنسايد. وهي في طريقها جنوباً، قابلت المحامين ودبّرت أمر انتقال الصومعة لملكية جان. وتركت لهم أمر إنهاء التفاصيل بأنفسهم. كانت واثقة أنهم ظنوا أنها مجنونة لتهب ملكيتها إلى شخص غريب عنها. ولكنهم أبقوا رأيهم لأنفسهم. واعتقدت أن جان قد يكتب لها بعد أن يعلم بما فعلت، ولكن عندما لم يفعل شعرت بالسعادة، فبهذه الطريقة لم يعد هناك صلة بينهما، وتستطيع وضع كل ذكرياتها خارج ذهنها.

ولم تكن تشاهد مايكل كثيراً. عند تناولها العشاء مع ريتشارد كانت تقابله أحياناً يتناول العشاء ايضاً مع زبون له، وشاهدته مرة مع السيدة باركلي، بعدها قابلها بعد انتهاء عملها وأخذها ليشربا القهوة معاً. وأدركت مارلين أنه يريد أن يشرح لها لماذا خرج مع امرأة أخرى.

عندها أظهرت له عدم اكتراثها، فأدرك وقتها وإلى الأبد أن ما بينهما قد انتهى.

خلال بعد ظهر ذلك اليوم، دخل ريتشارد ليقول لها إن رسوماتها أعجبت كثيراً السيد هاردل.

- يريدك أن تجربي رسم أشياء أخرى. الدعايات، هل يروق لك الأمر؟

- الدعايات؟

- نعم.. من نفس النوع الذي ترسمينه الآن. ويتوجه نحو منتجات معينة بدل القصص.

- فهمت ما تعني..

- ألست متأثرة؟

- أوه.. أنت تعرفني يا ريتشارد! مؤخراً لا يبدو لي شيء مهم.

- عليك أن تتماسكي قليلاً يا فتاة. لا تستطيعين الاستمرار هكذا إلى ما لانهاية. هذا الرجل... جان باتلي، قد يكون تزوج الآن!

- ألا تعتقد أنني أعرف؟

- إذاً.. لماذا بحق الله يا مارلين، لا يمكن لأحد أن يساعدك سوى نفسك. ولن يعيده لك تعذيب نفسك، وإذا كنت لا تتحملين الشك، اذهبي إلى هناك، قابليه، أكان متزوجاً أم لا، وفتشي عن راحة بالك.

- لا... لا أستطيع هذا.

- حسن جداً، إذاً تماسكي! عزيزتي، أنا أقسو عليك من أجلك، وانت تعرفين هذا.

- أعرف.. حسناً يا ريتشارد، سأفكر بالأمر - أعني حول الاعلانات.

- هذا جيد...

وربت ريتشارد على كتفها وتركها. وتركت مارلين مقعدها المرتفع

وتناولت معطفها، فبانتظارها ليلة طويلة في الشقة، وفتحت فمها لتنادي ريتشارد، لقد أمضت عدة أمسيات في منزلهم، وهذه الليلة تشعر بالحاجة إلى رفقة. ولكن ريتشارد كان قد ذهب إلى مكتبه واللحظة المناسبة ضاعت.

☆ ☆ ☆

١٢ ـ تريده ولكن . . .

وصلت حوالي السادسة إلى شقتها. وصعدت إلى الطابق الثاني وهي تفتش عن المفاتيح في حقيبتها. وأجفلها صوت صدر من أعلى الدرج، ونظرت إلى الأعلى لترى ظلاً قاتماً فوق.

وظنت بأنها إنما تتخيل، وإن الظل الذي تراه هو خيال، ولكنها لم تستطع أن تتقدم دون أن تصيح:

ـ من . . من هذا . . من هناك؟

وتقدم الظل نحو النور واتسعت عيناها بالذهول، كان الظل حقيقياً. هل عادت للتخيل، وهل هذا جان في أعلى السلم، لا يمكن أن يكون هو!

واستدارت وهي تكبت شهقة اضطراب، وبدأت العودة إلى أسفل الدرج، وسمعت أصوات أقدام تلاحقها، وكأنها خطوات الشيطان. وما إن وصلت الباب الخارجي حتى أمسك بذراعها لمنعها من فتح البوابة، وسحبها لتستدير وتواجهه بكل خشونة.

ـ لأجل الله يا مارلين . . لماذا تتصرفين هكذا؟

www.elromancia.com

وأبعدت نفسها عنه وهي لا تزال غير واثقة من أن خيالها يصوِّر لها كل هذا. ولكنها عندما رأته في نور المدخل لاحظت أن هذا ليس جان باتلي الذي تعرفه. فوجهه وجسده الآن أنحل مما مضى، وهناك خطوط سوداء حول عينيه اللتين بدتا غارقتان أكثر في وجهه. شعره غير مقصوص، وتبدو فيه خيوط رمادية لم تكن من قبل.

ما عدا ذلك، كان لا يزال نفس الرجل الذي يستطيع وجوده وحده أن يجعلها ترتجف بكل أعصابها وانفعالاتها، والرغبة فيها... وقالت في النهاية، عندما ضاقت عيناه بمرارة:

ـ جان... جان... ماذا تفعل هنا؟

وتركها جان، ووضع يديه في جيوبه:

ـ لقد أتيت لأراك. ولأن أحاول أن أحصل على أجوبة لبعض الأسئلة.

ـ تبدو حزيناً جداً. ولكن حاول أن تفهم كيف شعرت من لحظات، لقد اعتقدت أنك شبح، لم أصدق، أنك.. هناك.. عند السلم.

ـ وهل تتوقعين أن أصدق هذا؟

ـ إنها الحقيقة يا جان.. ما هي الاسئلة التي تريد أن تسألني؟

ـ أظن من الأفضل أن أتصل بالمحامين.

وبدأت مارلين تحس بأول مشاعر البرد في جسمها. ونظر حولهما.

ـ أنا.. أليس.. ألن تعود معي الى الشقة؟ أنا.. حسناً، أنا واثقة أنك تريد شيئاً تشربه؟

ـ لست واثقاً أنها فكرة جيدة.. أنت تبدين بخير.. لا زلت تعملين بنشاط أليس كذلك؟

ـ أجل.. أوه.. أرجوك، اصعد معي إلى الشقة.. أنا آسفة لأنك اعتقدت أنني غبية! ولكنني أمضيت يوماً تعباً، انا تعبة، هذا كل شيء.

ـ إذاً الأفضل أن أذهب.. أليس كذلك؟

ـ جان.. لإجل الله، لا تتكلم معي هكذا! أرجوك.. أرجوك... لا تذهب...

وحدق بها للحظات طويلة، ثم، وكأنما القبضة الحديدية التي سيطر بها على نفسه قد أفلتت منه، وأمسكها بكتفيها وجذبها نحوه.

وتعلقت به مارلين بقوة، مستجيبة لعناقه دون تفكير، غير قادرة في تلك اللحظة أن تفكر بأي شيء ما عداه وعدا حاجتها إليه.

ولكن، بعد هذا، برز في عقلها أن تحفظه تجاهها لا بد أن سببه جينفر، وغمرها الندم. وجذبت نفسها عنه ووقفت مترنحة. وقالت وهي تضع يدها على وجهها حتى لا يرى الدموع:

ـ أوه.. يا جان.. لا نستطيع أن نفعل هذا! لماذا أتيت إلى هنا؟

ونظر اليها جان وهو يتنفس بسرعة:

ـ مارلين، بحق السماء، لا تتلاعبي معي!.. ليس الآن!

وبلعت مارلين ريقها بصعوبة. لقد حانت لحظة الحقيقة، ولن تستطيع أن تواجهها. لن تسمح له أن يفعل شيئاً قد يلقي اللوم عليها لأجله فيما بعد. إنها تريده.. آه.. كم تريده.. تريد كل شيء.. ولكن ليس على حساب جينفر.

ولأنها جبانة، ركضت هاربة محو شقتها. ودخلت إلى غرفة الجلوس بعنف، ولكن جان لحق بها وعندما أغلق الباب وراءه، علمت أن أيام هروبها قد انتهت. وقال لها بصوت مشدود ومتوتر:

ـ مارلين... مارلين.. لماذا تخليت لي عن الصومعة؟

ـ وهل هذا مهم؟.. إنها لك الآن. وأنا لا اريدها، ولا أي جزء منها.

ـ وهل تعتقدين أنني سآخذها، هكذا؟

ـ وماذا تعني؟

ـ لماذا هربْتِ؟

ـ إنك تسأل أسئلة كثيرة يا جان ، ليس من حقك أن تكون هنا.

ـ ولماذا؟ قولي لي لماذا؟ قولي إن ما حصل عند أسفل الدرج كان تمثيلاً منك، وسأبرهن لك أنه ليس تمثيلاً.

وأمسك بكتفيها وتمتم بخشونة «هذه البشرة الناعمة، هل تعلمين أن التفكير بك قد قادني إلى الجنون في الأسابيع الماضية؟».

ـ جان...

وأدارت رأسها محتجة.. وضاقت عيناه.

ـ ما الأمر..؟ هل عاد إليك كرومويل مرة أخرى؟

ـ لا.. لا... أنا لست من النساء اللاتي تظن.. أريدك أن تذهب.

ـ وأي نوع من النساء أظنك؟ اوه.. مارلين، لقد بدأت أصدق أن المستحيل قد يصبح واقعاً. قولي لي شيء واحد.. لماذا هربْت؟ هل السبب أنك ستعطيني الصومعة، أم أن السبب ما اعتقدته: أنه بعدما حدث بيننا لم تعودي تريدينني؟

ـ جان.. يجب أن تعلم أن جينفر...

ـ إنها جينفر إذن... مارلين، جينفر ماتت...

ـ ماذا؟ جينفر ماتت.. لا يمكن... ولكن.. متى؟

ـ منذ ستة أسابيع.

ـ إذاً لهذا السبب... فقدت وزنك، وهذه الخطوط الحزينة... لقد اعتقدت...

وأبعدها قليلاً وهو يضع يديه على كتفيها محدقاً بها بتصميم:

ـ مارلين، إذا كنت قد خسرت من وزني وهناك خطوط حزينة على وجهي فليس السبب جينفر بكل تأكيد. لقد مضى على وفاتها ستة

أسابيع. ستة أسابيع قاسيت فيها ما لا يستطيع تحمله رجل. هل تعرفين ماذا فعلتي بي عندما هربتي؟ جعلتني أدرك أن هذا بسبب الدناءة والأنانية التي قابلتك بها وقلتها لك، وسوف تعذبني لما تبقى من حياتي دون أن أستطيع القول لك ما أشعر به تجاهك. وكما قلتي كانت هناك جينفر، ولم أستطع أن أهجرها.

ـ جان...

ـ مهلك لحظة... هناك المزيد.. أسباب تورطي مع جينفر، لم تكن شخصية بالكامل. لقد علمت مؤخراً ومنذ بضع أيام أنك علمت بقصة امي، بكل تلك القصة القذرة، وهذا جزئياً ما دفعني لأن أكون مديناً لعائلة جينفر، في الوقت الذي طرد باتلي فيه أمي.. لم يساعدها سوى عائلة كارينغ، لقد ساعدوها على إيجاد منزل تسكن فيه ودعموها الى أن استطاعت أن تعيل نفسها. لقد شعرت أنني مدين بالعمق لهم. فقد كنت مسؤولاً بطريقة ما عن الأمر. لولاي لكانت الحياة أسهل على أمي. لقد كنت أنا وجينفر مقربين جداً.. وعندما علمت بأمر أنجلو وعلاقتي به تملكتني فكرة أن ما من فتاة قد تقبل بي زوجاً. وعنى لي الكثير أن تقدّم لي جينفر العاطفة والدعم.. هل تستطيعين أن تفهمي؟ لم أكن أستطيع أن أخون هذه العاطفة أبداً.

وأطرقت مارلين برأسها من التأثر، وتابع يقول:

ـ ولكن بعد وصولك، ثارت قضية الصومعة بيننا، وبدأت أدرك حقيقة شعوري تجاهك، وأنها ليست مشاعر كره بل مشاعر يمكن أن تكون بسهولة مشاعر أخرى مختلطة بها...! الحب!!.

ـ ولكن.. ولكنك انتظرت كل هذه المدة. أعني.. أنه كان بإمكانك أن تقول لي إن جينفر ماتت؟ كان شيئاً ممكن أن أشاركك به.. فقد أحببتها كثيراً.

ـ أجل.. لقد كانت مأساة، ومع أنها لم تكن قوية الصحة أبداً،

www.elromancia.com

وهذا المرض الأخير أضعفها كثيراً، فقد كانت صدمة فظيعة لنا جميعاً. وشعرت بالذنب لأن رغبتي بك جعلتني أبتعد عنها قليلاً، ولكن الأطباء قالوا إن أصابتها في الرئتين كانت قوية. وإن لا العلاج والتمريض كان سيشفيها.

وهزت مارلين رأسها، وهي تفكر بالفتاة اللطيفة وتابع جان كلامه:

ـ لقد أخبرتك جينفر قصة أمي.. أليس كذلك؟ لو أنني عرفت! لقد اعتقدت.. آه.. لا أعرف ماذا ظننت، لقد ظننت أنني أكرهك في ذلك الوقت عندما تركتيني دون وداع حتى...

ـ ولكن كيف عرفت أن جينفر أخبرتني؟

ـ لقد قالت لي نومي، لأن جينفر قالت لها، بعد أن سافرتي. ولكنها أقسمت على إبقاء الأمر سراً...، وعرفت بالصدفة عندما سمعت جيف وأمه يتحدثان معاً عني.. كانا قلقين عليّ، ومن ردة فعلي على اعطائك الصومعة لي...

ـ ماذا تعني؟

ـ وماذا تظنين أنني أعني؟ لم أستطع النجاة من الألم. أنت تعرفين هذا.

ـ ولكن لماذا؟

ـ المنزل ثمين... ليس ثميناً بالقدر الذي حاول كرومويل أن يبيعني به، ولكنه ثمين.. وكما قلت سابقاً سأشتري المنزل منك. لهذا أتيت إلى هنا!

ـ وهل هذا هو السبب الوحيد؟

ـ هذا عائد لك!

ـ وماذا تعني؟

ـ وماذا تظنين أنني أعني؟ لأجل الله يا مارلين، هل تريدين مني أن

أجثو على ركبتيّ وأقول لك إنني أحبك.. إنني أعبدك.. إنني لا أستطيع العيش بدونك...!

لا بد أن هذه ستكون صورة رائعة... الريفي المتغطرس يجثو على ركبتيه يتوسل بينما كل ما عليه أن يفعل... أن يأمر. وارتجفت شفتا مارلين، ثم همست بسرعة «خذني بين ذراعيك، واحبني! لا أستطيع تصور كيف سيكون شعوري بدونك».

وحدق بها جان ثم ضغطها إليه، ويده على وجهها تمر بحنان. وعندما توقف، ابتعد قليلاً، ولكنها تعلقت به فقال «أنا مجرد إنسان يا مارلين. وأرغب بك كثيراً، ولكن ليس هنا.. وليس هكذا... أريد أن أتزوجك!».

ـ وإذا رفضت؟

ـ ولكن لن ترفضي!

وهمست له «سأعقد اتفاقاً معك» ونظر إليها متسائلاً وتابعت كلامها «إنه امر يتعلق بملكنا المشترك. إذا استطعت أن ترى طريقة...».

ـ أوه يا مارلين.. حسناً.. حسناً... أمي ستعيش في الصومعة، كما خططت له تماماً. هل تظنين أنك قد تتحملين الحياة في وايت بيل إلى أن أستطيع تحمل شراء منزل جديد لنا؟

وارتعدت مارلين من السعادة وتمتمت «أظن أنني أستطيع، وكما قال ريتشارد، عندما تتزوج المرأة الرجل الذي تحب، لن تسأل عن الاشياء التافهة الأخرى».....

النهـاية